الدين والحياة

الجزء الأول

إعداد

الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة بالأوقاف

إشراف وتقديم

د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

الدين والحياة

إشراف ومراجعة وتقديم

د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى

للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾

[هود: ٨٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

الحمـــد لله رب العالمين، والصلاة والســـلام على خاتم أنبيائه ورســـله ســـيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـــد،،،

فـإن الديـن ليـس بمعـزل عـن حركـة الكـون وعمارتـه، فالديـن فـن صناعـة الحيـاة لا صناعـة المـوت، فلـن يقـدِّر النـاس ديننـا ما لم نتفـوق في أمـور دنيانا، فإن تفوقنـا في أمور دنيانـا احـترم النـاس ديننـا ودنيانـا.

وإن صحيـح العقـل لا يمكـن أن يصادم صحيـح النقل، فمـن أنزل صحيـح النقل هـو ﷻ من زين الإنسـان بالعقل، ومنحـه القـدرة عـلى التأمل والتفكـير والفهـم، والأديان إنما جـاءت لتحقيـق مصالـح البـلاد والعبـاد، فحيـث تكـون

المصلحة المعتبرة فثمة شرع الله الحنيف، وهو ما تسعى إلى تحقيقه العقول الرشيدة والقيادات الحكيمة.

الدين والدنيا يتكاملان ولا يتصادمان، فكل ما يؤدي إلى سعادة الناس في حياتهم هو من صميم معاني الأديان ومقاصدها العُليا، وكل ما يؤدي إلى الضعف واضطراب الحياة وانتهاج سُبل الغي والضلال يتناقض مع الدين والخلق والفطرة الإنسانية السوية.

الدين والدولة لا يتناقضان، إنما يرسخان معًا لأُسس العمل والإتقان والبناء والتعمير، والتكافل المجتمعي، وأن لا يكون بيننا جائع، ولا محروم، ولا عارٍ، ولا مشرد، ولا محتاج، الأديان رحمة كلها، عدل كلها، سماحة كلها، يسر كلها، وهو ما عليه الإنسانية السوية.

وفي هذا الكتاب نقدم للقارئ الكريم عددًا من الموضوعات المُهمَّة، منها: تقدير المصلحة وتنظيم المباح، والصلابة في مواجهة الجوائح والأزمات، والعمل واجب، ومخاطر الطلاق، ومخاطر الهجرة غير الشرعية، والتكافل المجتمعي، والأمن الغذائي، وجبر الخاطر وأثره في الفرد

والمجتمع، وقيمة الاحترام، والأسرة سكن ومودة، والتاجر الأمين، والصانع المتقن، والزارع المجد، وأهمية الاستثمار في حياتنا، إلى غير ذلك من الموضوعات شديدة الصلة بواقع الناس وشئون حياتهم.

وقد راعينا في هذه الموضوعات أن تكون في إطار سماحة الإسلام ووسطيته، في أسلوب سهل ميسر لكل الباحثين عن الفكر الوسطي المستنير من المتخصصين وغير المتخصصين.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

تقدير المصلحة وتنظيم المباح

إن المتأملَ في أحكام الشريعة الإسلامية يجدُ أنها جاءت لتحقيقِ مصالح البلاد والعباد، والسُّمُوِّ بالنفسِ البشريةِ، والارتقاءِ بها إلى أعلى الدرجات؛ لذلك لم تأتِ الأحكامُ كلُّها ثابتةً مستقرةً؛ بل كان منها ما هو ثابتٌ مستمرٌّ، ومنها ما هو متغيرٌ يختلف باختلاف الزمان والمكان والأعراف والأحوال والحاجة ودفع الضرر والمشقة، فأحكامُ الشريعةِ تدورُ مع المصلحةِ وجودًا وعدمًا؛ وحيثما وُجدت المصلحةُ فثَمَّ شرعُ الله ﷻ.

ولقد أقامت الشريعةُ الإسلاميةُ نظامًا متوازنًا يراعي بين المصلحةِ العامةِ والمصلحةِ الفرديةِ، بما يحقق صالحَ الوطنِ وصالحَ أبنائه جميعًا، فتتحققُ للمجتمعِ قوةُ البنيانِ الواحدِ، وشعورُ الجسدِ الواحدِ الذي حثَّ عليه

نبيُّنا ﷺ في قولـه: (الْمُؤْمِـنُ لِلْمُؤْمِـنِ كَالْبُنْيَـانِ يَشُـدُّ بَعْضُهُ بَعْضًـا، وَشَـبَّكَ بَـيْنَ أَصَابِعِهِ)[1].

ومن المقرَّرِ شرعًا وعقلًا أن ما يحقُّ النفعَ العامَّ للبلاد والعباد مقدمٌ على ما يحقُّ النفعَ الخاصَّ لشخصٍ بعينه، أو مجموعةٍ من الأشخاصِ، وأنه إذا تعارضَت المصلحةُ العامةُ مع المصلحةِ الخاصةِ قُدِّمت المصلحةُ العامةُ على الخاصةِ؛ ذلك أن المصلحةَ العامةَ تشملُ كلَّ ما يحقُّ إقامةَ الحياةِ من أمورٍ ماديةٍ، ومعنويةٍ، تجلبُ الخيرَ والنفعَ للناس، وتدفعُ عنهم الشرَّ والمفاسدَ، وتحققُ حمايةَ الوطنِ واستقرارَه وسلامةَ أراضيه؛ فالشرعُ إنما جاء ليحفظَ على الناس دينَهم، ووطنَهم، وأنفسَهم، وعقولَهم، وأنسابَهم، وأموالَهم؛ لذا قرَّر الفقهاءُ أن الضررَ الخاصَّ يُتحَمَّلُ لدفعِ الضرَّرِ العام، وأنه إذا تعارضتْ مفسدتانِ روعي أعظمُهُما ضررًا بارتكابِ أخفِّهما.

فتقدير المصلحةِ المعتبرةِ مسئوليةُ وليِّ الأمر؛ ذلك أنه أعلمُ بالمصلحةِ العامةِ، وأكثرُ إلمامًا بجوانب الأمورِ، وما

(١) متفـق عليه: صحيح البخـاري، كتاب المظالم، بَـابُ نَصْرِ الْمَظْلُـوم، حديث رقم ٢٤٤٦، واللفظ له، وصحيح مسـلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم ٢٥٨٥.

يترتبُ عليها من تبعاتٍ؛ لذا يقول الحقُّ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1].

إنَّ احترامَ النظامِ والحفاظَ عليه مبدأٌ أصيلٌ من مبادئ الشريعة الإسلامية؛ إذ لا بد لكل فئةٍ تتعايشُ في مجتمعٍ واحد من القوانينِ التي تنظم للناس أمورَ حياتِهم، ومن أهم ما يجبُ تنظيمُه في المجتمع: الأمورُ المباحةُ؛ لأنَّ بعضَ الناسِ قد يتجاوزُ في استخدام المباحِ، فيتحولُ الأمرُ بسوء استخدامِه من الإباحة إلى الحَرمة، يقول ﷻ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾[3]، فالخروجُ بالإنفاقِ إلى حدِّ السَّفَهِ والتبذيرِ يخرجُ به من الحِلِّ إلى الحُرمة؛ فلوليِّ الأمر أن يُقَنِّنَ المباحَ أو يُقَيِّدَهُ؛ بل عليه أن ينظِّمَهُ أو ينيبَ من ينظمُه من أصحاب الولايات الخاصة التي تنبثق من الولاية العامة، كلٌّ حسب اختصاصِه؛ لأن دنيا الناس لا تصلح بدون قانون ولا

(١) [سورة النساء، الآية ٥٩].
(٢) [الأعراف، الآية ٣١].
(٣) [الإسراء، الآيتان: ٢٦، ٢٧].

نظام، وإلا صارت الدنيا إلى عشوائيةٍ مَقيتةٍ، وفوضى تضرُّ ولا تنفعُ، ومن ذلك على سبيل المثال: حقُّ الطريق الذي يُعَدُّ كَفُّ الأذى عنه شعبةً من شعب الإيمانِ، ولأجل تنظيمِ المباح شُرِعَ الحجرُ على السفيه والمبذِّر في الفقه الإسلامي.

ومما لا شك فيه أن تنظيمَ المباح بما يتناسب مع تحقيق النفع العام فيه درءٌ للمفاسدِ، وجلبٌ للمصالح؛ إذ لا مفسدةَ أشدُّ من الإضرار بحياة الناس، والأولويةُ تكون أولًا لإزالة كلِّ ما يُشَكِّلُ خطرًا على الحياة، ثم لما يحققُ مصالحَ الناس، ويجبُ على كل الناس أن يتعاونوا في ذلك؛ لأن الثمارَ يحصدها المجتمعُ كلُّه، والضررُ - لا قدّر الله- يقع على المجتمع كله، وقد بيَّن ذلك نبيُّنا ﷺ في قوله: (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا)[1].

(١)صحيح البخاري، كِتَاب الشِرَّكَةِ، بَاب هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، حديث رقم ٢٤٩٣.

الأمـن الغـذائي
حمايته وحرمة التلاعب به

إنَّ الدِّيـنَ الإسـلامِيَّ الحَنِيـف ديـنٌ شـامل لـكل نواحـي الحيـاة بـمَا تصلـح بـه حَيَـاة البـشر، ويتَوافَـقُ مَـعَ متطلباتهـم المَعِيشـيَّة واحتيَاجَاتِهـم الإنسـانية، ويكفـل لهـم السـعادة في الدنيـا والآخرة، قال تعـالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

فقد عُنِيَ الإسلام بالْمُقَوِّمَاتِ الأَسَاسِيَّةِ لحَيَاةِ الإنْسانِ، من مَطْعَمٍ ومشْرَبٍ، ومسْكَنٍ، ومَلْبَسٍ، وغير ذلك مما يساعد على استقرار حياته وسكينتها وطمأنينتها، وتحقيق أمن الإنسان بكل صوره وجوانبه.

عـلى أن نعمـة الأمـن مـن أعظم نعـم الله ﷻ على الإنسـان لا يسـتطيع أن يعيشَ بدونها، ولا يشـعر بلذة العبـادة والطاعة

(١) [سورة النحل، الآية ٨٩].

أو الطعام والشراب إلا بتحققها، يقول ﷻ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾[1].

ومن مجالات الأمن التي اهتم بها الإسلام وحرص على تحقيقها: (الأمن الغذائي) بعيدًا عن الجشع والطمع والغش والاحتكار والاستغلال والنفعية والأنانية، فللأمنِ الغِذَائي أَهَمِيَّةٌ كُبْرَى في حَيَاةِ الأَفْرادِ والأمَم، فهو يَرتَبِطُ ارتبَاطًا وثيقًا بالاستِقْرَارِ والأمْنِ المُجْتمَعِيّ، وقد رَبَطَ القُرآنُ الكريمُ بينهُمَا بِربَاطٍ وثيقٍ إلى يوم القيامةِ، فقال ﷻ مُمْتَنًّا على أهلِ مكَّةَ بهاتين النِّعْمَتَيْنِ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وكذلك جاءت السنة النبوية المطهرة بما يجعل الأمنَ الغِذائي ركيزة مُهمَّة من ركائز الحياة المستقرة، وربطت

(١) [سورة قريش، الآيات ١- ٤].
(٢) [سورة القصص، الآية ٥٧].

كذلك بينه وبين الأمن المجتمعي، حيث يقول نبينا ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[1].

فالأمن الغذائي ضرورةٌ لحفظ كرامة الفرد والأمة، وإن أيَّ مساسٍ به له عواقبُه وأضراره الخطيرة بما يجعل المساس به جريمة كبرى في حق المجتمعات، لما يترتب على افتقاده من مفاسد وجرائم متعددة كالسرقة والسلب والنهب وقطع الطرق والغصب والرشوة والاحتيال والتربح والابتزاز، وغير ذلك من مفاسد وشرور.

لذا حرصت الشريعة الإسلامية على حماية المجتمع من الجشع والاستغلال، وحرَّمت التلاعب بأقوات الناس وحاجاتهم الأساسية، وحثَّت على السعي في تحصيل المال الحلال باكتسابه من الطرق المباحة المشروعة، دون أي اعتداء أو ظلم للآخرين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ

(١) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الزُّهْدِ، بابٌ منه، حديث رقم ٢٣٤٦.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1]، كما حثت التاجر على الصدق والسهولة واليسر والسماحة وحسن المعاملة في بيعه وشرائه فلا يغالي في الربح، حتى لا يرهق كاهل الفقراء والمحتاجين، فيكون ذلك سببًا لمحق البركة من رزقه، يقول نبينا ﷺ: (رَحِمَ الله رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى)[2]، وقال ﷺ: (دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ، قَاضِيًا وَمُتَقَاضِيًا)[3].

وقد نهى النبي ﷺ عن السلوكيات الاستغلالية التي يمارسها من لم يراقب الله ﷻ من التجار، إذ يقول: (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ)[4]، فالخاطئ أشد جرمًا وشراسة من المخطئ، فالله تعالى يقول: ﴿لَا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾[5].

(١) [سورة النساء، الآيتان ٢٩، ٣٠].
(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ، وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، حديث رقم ٢٠٧٦.
(٣) مسند أحمد، ١١/ ٥٥٠، حديث رقم ٦٩٦٣.
(٤) مسند أحمد، ١٤/ ٢٦٥، حديث رقم ٨٦١٧.
(٥) [سورة الحاقة، الآية ٣٧].

ويؤكد ذلك قوله ﷺ في رواية أخرى: (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله تَعَالَى، وَبَرِئَ الله تَعَالَى مِنْهُ)[1]، والاحْتِكَار والاستغلال يكونان سَببًا في هَلاكِ ودَمَارِ صاحبهما في الدنيا والآخرة، يقول نبينا ﷺ: (مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2].

ولكي تتم حماية الأمن الغذائي حرّم الإسلام كل ما يؤدي إلى التلاعب به، ومن ذلك الغش بجميع صوره، فقال ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[3].

ومن صُورِ الغِشِّ خَلْط الجيد بالرديء، وإظهار الرديء في صورة الجيد وبيعه بقيمته، فقد مرَّ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى صُبْرَةِ مِنْ طَعَام، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟)، قَالَ

(١) مسند أحمد، ٨ / ٤٨١، حديث رقم ٤٨٨٠.
(٢) مسند أحمد، ٣٣/ ٤٢٥، حديث رقم ٢٠٣١٣.
(٣) [سورة المطففين، الآيات ١-٣].

أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[1].

وبسبب حساسية العمل التجاري نجد المصطفى ﷺ يقول:(التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)[2]، هكذا جاء الشرع الحنيف مادحًا لكل صلاح، محاربًا لكل فساد، فقال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4]، ويقول نبينا ﷺ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)[5]، ويقول ﷺ: (مَثَلُ

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الإِيمَانَ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، حديث رقم ١٠٢.

(٢) سُنن الترمذي، أبواب البيوع، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُمْ، حديث رقم ١٢٠٩.

(٣) [سورة آل عمران، الآية ٩٢].

(٤) [سورة البقرة، الآية ٢٦١].

(٥) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا، حديث رقم ١٤٤٢.

الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)[1]، فلا بد من التكافل والتراحم والتعاون، وبخاصة في وقت الشدائد والأزمات.

* * *

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم ٦٠١١، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم ٢٥٨٦، واللفظ لمسلم.

مخاطر استباحة المال العام والحق العام

لقد جعل الإسلام حفظ المال أحد الكليات الست، والمقاصد الكلية السامية التي أحاطها ديننا الحنيف بالعناية والحفظ والرعاية والصيانة، حيث يحذر الحق ﷻ من أكل أموال الناس بالباطل، فيقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)[2].

ولقد أحاط الإسلامُ المال بسياجات متعددة من الحفظ، فشرع الضمان، والكفالة، والوكالة، والحَجْر،

(١) [سورة النساء، الآيتان ٢٩، ٣٠].
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٩/ ١٣٥، حديث رقم ٢٩٨.

كما شرع حد السرقة، وحد الحرابة لحفظ المال أيضًا، ونبهنا الشرع الحنيف إلى كتابة الدَّين، والوفاء به، وأداء الأمانات، حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2]، ويقول ﷺ: (لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ)[3].

والمال إما أن يكون مالًا عامًّا أو خاصًّا، فالمال العام هو ما تملكه الشعوب من الأعيان والمنافع مما لا يقع تحت ملكية فردية؛ وحرمة المال العام أشد إثمًا وجُرمًا وخطرًا من حرمة المال الخاص؛ لكثرة الأنفس والذمم المتعلقة به، فالأمانة فيه أشد، والمسئولية فيه أعظم، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[4]، ويقول نبينا ﷺ: (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ

(١) [سورة المائدة، الآية ١].
(٢) [سورة النساء، الآية ٥٨].
(٣) مسند أحمد، ١٩/ ٣٧٥، حديث رقم ١٢٣٨٣.
(٤) [سورة آل عمران، الآية ١٦١].

القِيَـامَـةِ)[1]، ويقول ﷺ: (مَنِ اقْتَطَـعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ)[2].

وكـما أمـر الإسـلام بـضرورة المحافظـة عـلى المـال العام، فقـد أكـد عـلى الحفـاظ عـلى الحـق العـام، وحـذَّر أشـد التحذيـر من اسـتباحته بأي صـورة من الصـور، ومن ذلك: الاعتـداء عـلى المرافق العامـة، كالطرق العامـة، أو المدارس، أو المستشـفيات، أو وسـائل المواصـلات، أو شـبكات المياه، أو الكهربـاء، أو الـصرف الصحـي، وغـير ذلـك، فالواجب علينـا المحافظـة عليهـا، وحمايتهـا، والعمـل عـلى تنميتهـا وتطويرهـا؛ لأنهـا لنـا جميعًا وللأجيـال القادمـة، ولأن الذي يعتـدي عـلى المال العـام يعتدي عـلى الوطن كلـه، وعليه إثم كل مـن لـه حـق في هـذا المال.

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الْخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٤١]، حديث رقم ٣١١٨.

(٢) صحيح مسـلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ، حديث رقم ١٣٧.

إن مخاطر استباحة المال العام والحق العام كثيرة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، فمضيِّع المال العام والحق العام متعرض للوعيد، ونزع البركة من دعائه، وماله، وصحته، وأولاده، حيث يقول نبينا ﷺ: (إِنَّ اللهَ أَبَى عَلَيَّ أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ لَحَمًا نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)[1]، وقال ﷺ: (إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ)[2]، وذكر نبينا ﷺ (الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَكْسَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ له؟)[3].

ولا شك أنَّ مال الوقف وأعيانه يعد من المال العام، فقد أوقفه أناس صالحون على سُبل الخير؛ مما يجعل الاعتداء على أي عين من أعيان الوقف أو حق من حقوقه جريمة شرعية ووطنية، كما أن الحفاظ على مال الوقف وأعيانه وحقوقه واجب وأمانة شرعية ووطنية.

إنَّ مستبيح المال العام والحق العام إن نجا من العقوبة في الدنيا فإنَّه لن يفلت من حساب الله تعالى وعقابه في

(١) المستدرك للحاكم، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، حديث رقم ٧١٦٢.
(٢) سُنن الترمذي، أبواب السفر، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ، حديث رقم ٦١٤.
(٣) صحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا حديث رقم ١٠٥١.

الآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3].

* * *

(١) [سورة آل عمران، الآية ٣٠].
(٢) [سورة الإسراء، الآيتان ١٣، ١٤].
(٣) [سورة الكهف، الآية ٤٩].

مخاطر الطلاق

لقد جعل الإسلام للحياة الزوجية قدسية خاصة، ومكانة سامية، وسنَّ من الحقوق والواجبات والآداب ما يضمن استقرارها، وترابطها، وتماسكها، واستدامتها في إطار السكن، والمودة، والرحمة، والاحترام المتبادل، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ)[2].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله ﷻ قد سمَّى الزواجَ ميثاقًا غليظًا؛ ليدل على وجوب احترامه، وليحذِّر من خطورة هدمه ونقضه، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[3].

(١) [سورة النساء، الآية ١٩].
(٢) سُنن ابن ماجه، كتاب النكاح، بَابُ حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ، حديث رقم ١٩٧٧.
(٣) [سورة النساء، الآية ٢١].

وقد دعت الشريعة الإسلامية الزوجين إلى أن ينظر كل منهما إلى شريك حياته بعين الإنصاف، ويتأمَّل جوانب الخير فيه، ويتبصَّر مزايا الإبقاء على الحياة الأسرية من السكن والاستقرار النفسي والسلوكي، حيث يقول ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (لا يَفْرَكْ - أي: لا يكره - مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ)[2]، فالكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله، ولله درُّ القائل[3]:

كفى المرء نُبلًا أن تُعدَّ معايبُه ومَنْ ذا الذي تُرْضَى سجاياهُ كلُّها

ومما لا شك فيه أن الحياة الزوجية قد تعتريها بعض العوارض التي قد تنال من الصفاء الأسري، لذلك نجد القرآن الكريم قد وضع العلاج الناجع لها، وبيَّن أنَّ الخير كله في الصلح والتوافق والتراضي والإحسان، حيث يقول ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ

(١) [سورة النساء، الآية ١٩].

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم ١٤٦٩.

(٣) البيت ليزيد بن محمد المهلَّبي. انظر: لباب الآداب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ص: ١٩٠، ط دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[1]، وإن تطلب الأمر تدخل أهل الزوجين من أصحاب العقل والحِكمة والخبرة والصلاح والتقوى فليكن تدخلًا كريمًا بنية الإصلاح وإزالة أسباب الخلاف، حيث يقول تعالى:﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾[2]، وفي ذلك الأجرُ العظيمُ عند الله ﷻ، حيث يقول ﷺ: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[3]، ويقول نبينا ﷺ: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالوا: بَلَى، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، وفسادُ ذات البين الحالِقَة)[4].

(١) [سورة النساء، الآية ١٢٨].
(٢) [سورة النساء، الآية ٣٥].
(٣) [سورة النساء، الآية ١١٤].
(٤) سُنن أبي داود، كتاب الأدب، بَابٌ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، حديث رقم ٤٩١٩.

أمَّا إذا وصل الأمر إلى استحكام الشقاق في الحياة الزوجية، فقد أرشدت الشريعة إلى التروي حتى تهدأ العاصفة، وتلين القلوب، وتصفو الأنفس، ويُحَكَّم العقل، فتحدث المراجعة، ويعود الوفاق، حرصًا على استمرار الكيان الأسري.

ولا شكَّ أنَّ الطلاق تدمير لبيتٍ أمر الشرع أن يُبنى على أساس من السكن والمودة والرحمة، كما أنه يحمل العديد من المخاطر والآثار السلبية على الأسرة، وعلى المجتمع، ولا سِيَّما الأبناء بما يسبب لهم انفصال الوالدين من مشكلات نفسية، واجتماعية، واقتصادية؛ يفتقدون معها مقومات التربيةِ الحسنةِ، والتنشئةِ السليمةِ بسبب ذلك التفكك الأسري؛ مما يجعلهم عرضة للاضطراب النفسي، والتأخر الدراسي، فيسهل انحرافهم السلوكي أو استقطابهم وأدلجتهم من قِبل جماعات التطرف والعنف والإرهاب؛ لذا فإن الشيطان يعمل عمله على إغواء أي من الزوجين لتدمير بنيان الأسرة، يقول نبينا ﷺ: (إنَّ إبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ علَى الماءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ، فأدْناهُمْ منه مَنْزِلَةً أعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أحَدُهُمْ فيَقولُ: فَعَلْتُ كَذا وكَذا، فيَقولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا، قال: ثُمَّ

يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقولُ: ما تَرَكْتُهُ حتَّى فَرَّقْتُ بيْنَهُ وبيْنَ امْرَأَتِهِ، قال: فيُدْنِيهِ منه ويقولُ: نِعْمَ أَنْتَ)[1]، مما يتطلب منَّا الفطنة واليقظة والعمل على الإفلات من حبائل الشيطان، فما أجمل أن يسود الوفاق والاحترام والحب بين أفراد الأسرة جميعًا، حتى يتحقق الترابط والاستقرار بين المجتمع كله.

❊ ❊ ❊

(١) صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، حديث رقم ٢٨١٣.

مخاطر الهجرة غير الشرعية

إن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها أحاطت النفس البشرية بسياجات حفظ وأمان وتكريم، وجعلت الشريعة حماية النفس أحد أهم الكليات الست والمقاصد التي حرص الشرع عليها، وأولاها عناية خاصة، فقد حرّم الشرع الشريف الاعتداء على النفس وتعريضها للهلاك، يستوي في ذلك قتل الإنسان غيره أو قتله نفسه؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، ومَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّه فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا

(١) [سورة الأنعام، الآية ١٥١].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٩٥].

فيها أَبَدًا، ومَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيهَا أَبَدًا)[1].

وإن من صور الاعتداء على النفس تعريضها للهلكة عن طريق الهجرة غير الشرعية؛ وهي انتقال الإنسان من بلد إلى بلد آخر بصورة غير قانونية، عن طريق التسلل خفية، معرضًا نفسه للموت قتلًا أو غرقًا، أو إقامته في بلد دون تصريح أو إذن، أو بالمكث بعد المدة المحددة له قانونًا، ولا شك أن ذلك يعدُّ خداعًا، نهانا ديننا عنه، حيث يقول ﷺ: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا[2].

كما أن التحايل لدخول البلاد الأخرى أو الإقامة فيها يعد مخالفة للعهود والمواثيق الدولية التي اتفقت عليها الدول، والتي يجب الوفاء بها، حيث يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[3]، ويقول ﷺ: (إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ الله المُوفُونَ المُطَيَّبُونَ)[4]، وإذا كانت للبيوت حرمة، فإن حرمة

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الطب، بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالخَبِيثِ، حديث رقم ٥٧٧٨، واللفظ له. وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، حديث رقم ١٧٥.

(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، حديث رقم ١٦٤.

(٣) [سورة المائدة، الآية ١].

(٤) المعجم الصغير للطبراني، ٢/ ٢١٠، حديث رقم ١٠٤٥.

الدول كحرمة البيوت، أو أشد، فكما أنه لا يجوز لأحد أن يدخل بيتًا إلا بإذن صاحبه، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، فإنه لا يجوز لإنسان أن يدخل بلدًا إلا بإذن أهلها، وبالضوابط العالمية المعتبرة التي اتفقت عليها الدول.

إن دخول البلاد بالشكل القانوني أو بتأشيرة الدخول فيه صيانة للنفس، وحفظ للكرامة؛ لأن تأشيرة الدخول تعد عهد أمان متبادلًا بين الدولة وزائريها؛ فكما تضمن الدولة للزائرين الإقامة الآمنة المستقرة، فيجب عليهم الحفاظ على أمن هذه الدولة، وأمن أهلها، بغض النظر عن ديانتهم، أو جنسهم، أو عرقهم، أو لونهم، والوفاء بذلك التزام ديني، وواجب شرعي.

وإذا كان السعي على الرزق والمعاش أمرًا مطلوبًا شرعًا، حيث يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2]، ويقول

(١) [سورة النور، الآية ٢٧].
(٢) [سورة الملك، الآية ١٥].

نبينا ﷺ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)[1]، فإن ذلك ينبغي أن يكون بطرق شرعية، دون إيذاء، أو تهلكة، أو ضرر، أو معصية، حيث يقول نبينا ﷺ: (لا تَموتُ نفسٌ حتى تستكمِلَ رِزْقَهَا، وإنْ أبطأَ عليهَا، فاتَّقُوا اللهَ، وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ، ولا يحْمِلَنَّكم اسْتِبْطاءُ الرِّزقِ أن تَأخذُوهُ بمعصيةِ اللهِ، فإنَّ اللهَ لا يُنالُ ما عِندَه إلا بِطاعتِه)[2]، وقال ﷺ: (... وَأَنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ)[3].

* * *

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ، حديث رقم ٢٠٧٢.
(٢) مسند البزار، ٧/ ٣١٤، حديث رقم ٢٩١٤.
(٣) شعب الإيمان، باب الزهد وقصر الأمل، ١٣/ ١٩، حديث رقم ٩٨٩١.

مفهومُ التنميةِ الشاملةِ

خلق الله ﷻ للإنسان كل أسباب الحياة، فذلل له الأرض ومهَّدها، وقدَّر فيها أقواتها، وجعلها صالحة لقيام حياة كريمة تسع الإنسانية كلها، حيث يقول ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[3].

ولقد أمر الله تعالى الإنسان أن يأخذ بأسباب العلم ليعمر الأرض، ويستثمر الموارد الطبيعية التي خلقها الله ﷻ في الكون، فيحقق التنمية الشاملة التي تعود بالنفع على الفرد

(١) [سورة الرحمن، الآية ١٠].
(٢) [سورة الذاريات، الآية ٤٨].
(٣) [سورة النازعات، الآيات ٣٠ - ٣٣].

والمجتمع، حيث يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[2]، ويقول ﷻ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

ولا شك أن تحقيق الأمن من أهم أُسس التنمية الشاملة، حيث ربط الحق ﷻ بين الأمن والرزق برباط وثيق، فقال ﷻ: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]، ويقول ﷻ: ﴿ لِإِيلَٰفِ

(١) [سورة إبراهيم، الآيتان ٣٢، ٣٣].
(٢) [سورة لقمان، الآية ٢٠].
(٣) [سورة الجاثية، الآية ١٣].
(٤) [سورة القصص، الآية ٥٧].

﴿قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[1]، وقد قدَّم سيدنا إبراهيم عليه السلام الأمن على الطعام والشراب في دعائه، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[2]، ولا تقوم الحياة ولا يتحقق الرخاء ولا تتقدم الأمم إلا بالأمن، يقول الله سبحانه وتعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[3]، والأمن من أجلِّ نعم الله عز وجل، حيث يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[4].

كما تتحقق التنمية الشاملة باستثمار الطاقات البشرية، وبخاصة الشباب، من حيث إعدادهم وتنمية مواهبهم وحسن تأهيلهم، والدفع بهم في مجالات العمل المختلفة، ولقد أولى النبي صلى الله عليه وسلم الشباب اهتمامًا كبيرًا، ومنحهم الثقة،

(١) [سورة قريش، الآيات ١-٤].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٢٦].
(٣) [سورة يوسف، الآية ٩٩].
(٤) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الزُّهْدِ، بابٌ منه، حديث رقم ٢٣٤٦.

وتحملهم المسئولية، وكان الحسن البصري ﷺ يقول: قدّموا إلينا شبابكم؛ فإنهم أفرغ قلوبًا، وأحفظ لما سمعوا، فمن أراد الله أن يُتِمّه له أتمّه.

إن تحقيق التنمية الشاملة يتطلب عملًا نافعًا جادًّا يشمل جميع مجالات الحياة، زراعة، حيث يقول نبينا ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ - يأخذ منه أحد فينقص - إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ)[1]، أو تجارةً، حيث يقول نبينا ﷺ: (التَّاجِرُ الأَمِينُ الصَّدُوقُ مع النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقين والشُّهداء)[2]، أو حرفة وصنعة، حيث يقول الحق ﷻ عن سيدنا داود عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ، حديث رقم ١٥٥٢.
(٢) سُنن ابن ماجه، كِتَابُ التِّجَارَاتِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمَكَاسِبِ، حديث رقم ٢١٣٩.
(٣) [سورة سبأ، الآية ١٠].

فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (ما أكَلَ أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا مِنْ أَنْ يَأكُل مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نبيَّ الله دَاود عَلَيْه السَّلام كَانَ يأكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِه)[2].

ثم إن التنمية الشاملة هي التي تعم أبناء الوطن وربوعه؛ مُدنه وقُرَاه، حضره وبدوه، عواصمه وحدوده، وهي ما تقوم به الدولة المصرية من خلال إنشاء المدن الجديدة، وتطوير العشوائيات، والعناية بالمدن القديمة، والمشروعات القومية المتعددة، ومن أهمها مبادرتي: تنمية الريف المصري، وحياة كريمة.

إنَّ التنمية الشاملة لا يمكن أن تتحقق بدون نظام عامٍّ يضبط للناس حياتهم وفق قوانين تحفظ المجتمع من الفوضى، وما تقدمت دولة من الدول إلا باتباعها النظام، واحترامها القوانين، والتزامها بتطبيقها على الجميع، وتعاون الجميع في الالتزام بهذه القوانين.

* * *

(١) [سورة الأنبياء، الآية ٨٠].
(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ، حديث رقم٢٠٧٣.

الزكاة والصدقات ودورهما
في التنمية المجتمعية

إن الشريعة الإسلامية وضعت للناس نظامًا اجتماعيًّا قويمًا، أساسه التراحم، والترابط، والتكافل، حيث يقول نبينا ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)[1]، ويقول ﷺ: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)[2].

ومن هنا فقد شرع الإسلام الزكاة، وجعلها من أركانه، وحثَّ على الصدقات وجعلها من أعظم أبواب الخير، بما

(١) سبق تخريجه، ص ١٩.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الشركة، بَابُ الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالعُرُوضِ، حديث رقم ٢٤٨٦، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة -رضوان الله عليهم- باب فضائل الأشعريين ﷺ حديث رقم ٢٥٠٠.

يسهم في سد حوائج المحتاجين، وتفريج كربهم، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إله إلا اللهَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ)[3].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله ﷻ قرن الزكاة في كثير من المواضع بأعظم الفرائض وأجلِّها وأعلاها مكانة، وهي الصلاة تعظيمًا لشأنها، وذلك ترغيبًا في أدائها، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4]، ويقول ﷻ: ﴿الذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[5].

(١) [سورة التوبة، الآية ١٠٣].
(٢) [سورة سبأ، الآية ٣٩].
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، حديث رقم ٨، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، حديث رقم ٢١.
(٤) [سورة البقرة، الآية ١١٠].
(٥) [سورة النمل، الآية ٣].

كما جاءت الشريعة بالتحذير من التهاون في أداء الزكاة، حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[2]، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: "ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل إحداها بغير قرينتها. إحداها: قوله ﷻ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[3]، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، والثانية: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[4]، فمن صلى ولم يزكِّ لم يُقبَل منه، والثالثة: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٨٠].
(٢) [سورة التوبة، الآيتان ٣٤، ٣٥].
(٣) [سورة النساء، الآية ٥٩].
(٤) [سورة البقرة، الآية ٤٣].

لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾[1]، فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه"[2].

ولا شك أنَّ الصدقات تدعم دور الزكاة في تحقيق دورها المجتمعي؛ لذلك جاء الشرع الحنيف بالحث عليها والترغيب فيها؛ حيث قال نبينا ﷺ: (إِنَّ فِي المَالِ لَحَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ)، ثُمَّ تَلا قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ...﴾[3].

إن للزكاةِ والصدقاتِ ثمراتٍ عظيمةً، منها: حصول البركة والأجر العظيم؛ حيث يقول ﷻ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ

(١) [سورة لقمان، الآية ١٤].
(٢) تفسير بحر العلوم للسمرقندي، ١/ ٦٩.
(٣) سُنن الترمذي، أبواب الزكاة، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ فِي المَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ، حديث رقم ٦٥٩، [والآية في سورة البقرة: ١٧٧].
(٤) [سورة البقرة، الآية ٢٧٦].

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، ويقول ﷺ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)[2].

ومنها: أنها سبب من أسباب العافية، يقول نبينا ﷺ: (دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ)[3]، ويقول ﷺ: (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ)[4].

وللزكاة دور كبير في تحقيق التوازن المجتمعي وتحقيق التنمية المجتمعية، ويزداد الأمر اتساعًا في مجال الصدقات، سواء أكانت صدقات جارية، أم صدقات عامة، أم في صورة مشروعات ومبادرات، كمشروع صكوك الأضاحي، أو

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٧٧].

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[سورة الليل، الآيات ٥، ٦، ٧] «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا»، حديث رقم ١٤٤٢، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، حديث رقم ١٠١٠.

(٣) السُّنن الكبرى للبيهقي، كتاب الجنائز، بَابُ وَضْعِ الْيَدِ عَلَىَ الْمَرِيضِ، وَالدُّعَاءِ لَهُ بِالشِّفَاءِ، وَمُدَاوَاتِهِ بِالصَّدَقَةِ، حديث رقم ٦٥٩٣.

(٤) سُنن الترمذي، أبواب الزكاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّدَقَةِ، حديث رقم ٦٦٤.

صكوك الإطعام، أو مشروعات الكساء، أو توفير فرص العمل، وغير ذلك من وُجوه البر التي تسهم في تحقيق الرعاية الإنسانية للأسر والمناطق الأولى بالرعاية.

فما أحوجنا إلى تحقيق معاني البر والتكافل المجتمعي، حتى تَسُود المحبَّة، ويعم الإخاء.

* * *

فروض الكفايات
ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي

إن المتأمل في أحكام الشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد، والسُّمُوّ بالنفس البشرية إلى أعلى درجات الرقي والتحضر وحسن التعامل مع الآخرين، عن طريق الالتزام بمنهج الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ومن ثَمَّ يتمكن الإنسان من القيام بالمُهمَّة التي خلقه الله ﷻ من أجلها، ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وعمارة الأرض، قال ﷻ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1].

ومن جملة الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام لتحقيق الخير للإنسان ما يعرف بفرض العين، وفرض الكفاية، أما فرض العين فهو ما يجب وجوبًا عينيًّا لازمًا

(١) [سورة هود، الآية ٦١].

على شخص معين بذاته بحسب قدرته واستطاعته، لا يقوم غيره فيه مقامه، ويمثل له علماء الشريعة بالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، فلا يجزئ صيام الأمة كلها عن إفطار من أفطر، ولا يغني عنه صيامها من الله شيئًا، وكذلك الصلاة والزكاة، ففرض العين إذا أقامه المسلم نال ثوابه وحده، وإذا تكاسل عنه تحمل إثمه وحده.

وأما فرض الكفاية فهو لا يتعلق بشخص بعينه؛ بل يتعلق بجميع أفراد المجتمع؛ لكن إذا قام به بعض الناس سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثموا جميعًا، ومن ثَمَّ ففرض الكفاية هو ما يجب على المجتمع أن يقوم به من إنفاق المال، أو بذل الجهد لدفع الضرر عن الفقراء والمساكين وغير القادرين، يقول الحق ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فالكل في سفينة واحدة، ولكي تصل إلى برِّ الأمان لا بد من تكاتف الجميع وإلا هلكوا جميعًا، يقول نبينا ﷺ:

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٠٤].

(مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)[1].

وإذا كان بعض الفقهاء القدامى قد مثلوا لفروض الكفاية ببعض الأمور، كردِّ السلام، وتشميت العاطس، واتباع الجنائز، وتغسيل الميت، وتجهيزه، وتكفينه والصلاة عليه، ونحو ذلك، فإنما ذكروا ذلك كله على سبيل المثال لا الحصر، حيث إن مفهوم فروض الكفاية يتسع لكل ما فيه صلاح البلاد والعباد.

على أن كثيرًا من الناس يعتقدون أنهم أدوا ما عليهم بدفع زكاة أموالهم، وغاب عنهم ما في المجتمع من أيتام وأرامل، وفقراء ومساكين، ومرضى ومنكوبين، فليعلم الجميع أنه إذا أصيب أحد بكرب، أو احتاج شيئًا وجب

(١) صحيح البخاري، كِتَاب الشِّرَكَةِ، بَابٌ هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، حديث رقم ٢٤٩٣.

عليهم أن يدفعوا عنه ذلك الكرب، أو يقضوا له تلك الحاجة متضامنين، فإذا قام به واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، وإذا تخلف الجميع بعد علمهم أثموا جميعًا.

إن الإسلام لا يَعْرِف الفردية أو الأنانية أو السلبية، وإنما يعرف الإخاء الصادق، والعطاء الكريم، والتعاون على البِرِّ والتقوى، وهذا ما دعا إليه نبينا ﷺ فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ)، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ)[1].

ولقد ضرب الأشعريون أروع الأمثلة في التكافل المجتمعي فاستحقوا ثناء رسول الله ﷺ، فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا ـ نَفِدَ زادهم ـ فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، حديث رقم ١٧٢٨.

فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)[1].

ومن فروض الكفاية: قضاء حوائج الناس، فقضاء حوائجهم والقيام بمتطلبات حياتهم من الواجبات الشرعية والوطنية، يقول ﷺ: (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ)[2]، وفي حديث آخر نرى النبي ﷺ يقدم قضاء حوائج الناس على الاعتكاف في مسجده، حيث يقول: ﷺ: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ)[3].

---

(١) سبق تخريجه، ص ٤٢.
(٢) الجامع الصغير للسيوطي، ص٢٦٣، حديث رقم ٧٧٧١.
(٣) المعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٤٥٣، حديث رقم ١٣٦٤٦.

كذلك من فروض الكفاية: العمل على تخريج المتميزين من الأطباء والمهندسين والعلماء المتخصصين بما يحقق كفاية المجتمع في شتى المجالات العلمية والإنتاجية على حد قول الإمام الغزالي في الإحياء: "أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا،كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها دخل أهل البلد في حرج شديد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين،... وكذلك فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات"[1].

فلو خلا بلد من هذه العلوم والصناعات تعرض أهل هذا البلد للهلاك، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، ومن لا يملك قوته وسلاحه وعتاده ودواءه لا يملك إرادته، ومن ثمَّة وجب علينا جميعًا وجوبًا دينيًّا ووطنيًّا أن نعمل وبمنتهى الهمة والجد على تحقيق الكفاية لوطننا في جميع

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ١/ ١٦، ط دار المعرفة بيروت. بتصرف.

المجالات حتى نصبح أمة منتجة، أمة مصدرة، أمة نافعة لنفسها وللإنسانية، وليست عالة على غيرها، لا في طعامها، ولا في شرابها، ولا في علاجها، فعلاج مرضى المجتمع أمانة في أعناق أطبائه، ومحو أمية المجتمع أمانة في أعناق مُعلِّميه، وحفظ أمنه أمانة في أعناق جيشه وشرطته، وعدل المجتمع أمانة في أعناق قضاته، ففروض الكفايات تقوم على المسئولية التضامنية لأفراد المجتمع، كل في مجاله وميدانه، يقول ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[1].

ومن أمثلة فروض الكفاية التي تسهم في سد حاجات المجتمع: السعي إلى تحقيق القوة في جميع جوانب حياتنا الإيمانية، والعلمية، والفكرية، والاقتصادية، والإنتاجية، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[2]، ولم يحدد الله تعالى نوع هذه القوة، فهي شاملة لكل قوة تصلح الأمة، سواء أكانت قوة علمية أم جسدية، أم غير ذلك.

(١) [سورة المائدة، الآية ٢].
(٢) [سورة الأنفال، الآية ٦٠].

ومن ثمَّ فإن فروض الكفاية تتعلق بكل حاجات المجتمع، وإحياء الواجب الكفائي يسهم في تحقيق التكافل والتوازن المجتمعي من جهة، وسد حاجات الوطن الأساسية والضرورية من جهة أخرى، فما أعظم ديننا لو فهمناه فهمًا صحيحًا وطبقناه تطبيقًا واعيًا؛ فهو حريص أشد الحرص على ما فيه صالح البلاد والعباد والإنسانية.

* * *

الوقاية خير من العلاج

إن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها أمرت بكل خير ينفع الإنسان، ونهت عن كل شر يضره، والمتأمل في النصوص الشرعية يجد أنها أولت صحة الإنسان عناية خاصة، وأمرت بالحفاظ عليها، كما دعت إلى اجتناب كل ما يمكن أن يكون سببًا في مرض الإنسان أو ضعفه، حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ (لا ضَرَرَ وَلا ضِرَار)[2]، ويقول ﷺ: (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعيفِ، وَفي كُلٍّ خَيرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِالله وَلاَ تَعْجِزْ)[3].

(١) [سورة البقرة، الآية ١٩٥].
(٢) سُنن ابن ماجه، كِتَابُ الْأَحْكَام، بَابُ مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضرُّ بِجَارِهِ، حديث رقم ٢٢٣٤.
(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، حديث رقم ٢٦٦٤.

ومما لا شك فيه أن الصحة والعافية من أعظم نعم الله تعالى على عباده، يقول نبينا ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ)[1]، ويقول ﷺ: (اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ: شبابَك قبل هَرَمِك، وصِحَّتَك قبل سَقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شُغلِك، وحياتَك قبل موتِك)[2]، ويقول ﷺ: (اسْأَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ)[3].

ومن صور الحفاظ على نعمة الصحة والعافية التي حرص عليها الإسلام: الأخذ بأسباب الوقاية، فالوقاية خير من العلاج، بل إن الوقاية هي العلاج، وقد قالوا: درهمُ وقايةٍ خيرٌ من قنطار علاجٍ، ومن أساليب الوقاية التي حث عليها الإسلام، وجعلها ضرورة شرعية لحماية الإنسان من الأمراض: الاهتمام بالنظافة العامة، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4]،

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاق، بَاب لَا عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَة، حديث رقم٦٤١٢.
(٢) السُّنن الكبرى للنسائي، كِتَابُ المَوَاعِظِ، حديث رقم١١٨٣٢.
(٣) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بابٌ منه، حديث رقم ٣٥٥٨.
(٤) [سورة البقرة، الآية ٢٢٢].

ويقول ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ...)[1]، ويقول ﷺ: (طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ)[2]، والأفنية تشمل: فناء البيت، وفناء المدرسة، والمصنع، والطريق، وغيرها.

وكما حرص الإسلام على النظافة العامة، فقد حرص على النظافة الشخصية، حيث يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[3]، ويقول نبينا ﷺ: (إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلا يُدْخِلْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاثًا)[4]، كما أنه يستحب غسل اليدين قبل الأكل وبعده، فقد كان نبينا ﷺ إذا أراد أن يأكل أو يشرب غسل يديه، ويقول ﷺ: (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي- أَوْ عَلَى النَّاسِ- لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّواكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)[5].

---

(١) صحيح مسلم، كتب الطهارة، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حديث رقم ٢٢٣.
(٢) المعجم الأوسط للطبراني، ٤/ ٢٣١، حديث رقم ٤٠٥٧.
(٣) [سورة المائدة، الآية ٦].
(٤) سُنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الرجل يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها، حديث رقم ١٠٥.
(٥) صحيح البخاري، كِتَابُ الجُمُعَةِ، بَابُ السِّوَاكِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، حديث رقم ٨٨٧.

ومن أساليب الوقاية: تجنب مخالطة المرضى بأمراض معدية، وعزلهم عن الأصِحَّاء، يقول ﷺ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ فِيهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا)[1]، ويقول ﷺ: (لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ)[2]، ومن هنا فينبغي لمن يشعر بأعراض مَرَضِية أن يبتعد عن مخالطة الناس، حتى يمنَّ الله تعالى عليه بالشفاء، كما يجب اتخاذ كل الإجراءات الاحترازية لمنع انتشار الأمراض، ومنها: منع المعانقة والتقبيل، وتقليل المصافحة، والبُعْد عن التجمعات.

إن الوقاية لا تتنافى مع الإيمان والتوكل على الله ﷻ، فقد قال نبينا ﷺ للأعرابي الذي سأله عن ناقته: أعقِلُها وأتوَكَّلُ أو أطلِقُها وأتوَكَّلُ؟ فقال ﷺ: (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)[3]، والتوازن بين الأخذ بالأسباب والتسليم بقضاء الله وقدره لا يقف عند حدود عقل الناقة مع حسن التوكل، فنحن في ظروفنا الحالية نقول: ارتد الكمامة وتوكل على الله،

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ، حديث رقم ٥٧٢٨.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، بَابُ لَا هَامَةَ، حديث رقم ٥٧٧١.
(٣) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، باب منه، حديث رقم ٢٥١٧.

نظف يديك وتوكل على الله، خذ بجميع الإجراءات الاحترازية وتوكل على الله، وهكذا في سائر الأمور الحياتية، وبهذا نكون قد فهمنا وحققنا وطبقنا معنى قول نبينا ﷺ: (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)[1].

* * *

(١) المصدر السابق.

حق الوطن والمشاركة في بنائه

إن حق الوطن على أبنائه من أوجب الحقوق وآكدها، والمشاركة في بنائه ورقيِّه من أعظم المهمات وأشرفها؛ فالوطن أحد الكليات الست التي أحاطها الشرع الحنيف بسياجات عظيمة من الحفظ والصيانة، فالحُر الكريم يفتدي وطنه بالنفس والنفيس، ولله در القائل[1]:

يَـدٌ سَـلَفَتْ وَدَيْـنٌ مُسْتَـحَقُّ وَلِلأَوْطَـانِ فِي دَمِ كُـلِّ حُـرِّ

ومما لا شك فيه أن من يفهم دينه فهمًا صحيحًا يدرك أن العلاقة بين الدين والدولة ليست علاقة عداء ولن تكون، وأن فهم صحيح الدين يسهم وبقوة في بناء واستقرار دولة عصرية حديثة تقوم على أُسس وطنية راسخة، كما أن الدولة

(١) من قصيدة (ثمن الحرية) لأمير الشعراء أحمد شوقي، التي قيلت في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا بمسرح حديقة الأزبكية في يناير سنة (١٩٢٦م) بعد أن قصف الفرنسيون دمشق وخلفوا فيها الدمار، التي مطلعها: سلام من صبا بردى أرق... ودمع لا يكفكف يا دمشق. موسوعة الشعر الإسلامي ١ / ١٢٠١.

الـرشيدة لا يمكن أن تصطـدم بالفطرة الإنسانية التي تبحث عن الإيمان الرشيد الصحيح.

وقد جسَّد نبينا ﷺ معنى حب الوطن في قوله ﷺ حين أخرجه قومه من مكة المكرمة، فخاطبها قائلا: (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ)[1].

فحب الوطن والانتماء إليه قيمة إسلامية أصيلة، وفطرة جبلت عليها الطباع السليمة، وأمر يوجبه الشرع الحنيف، وتفرضه الوطنية المخلصة، فالانتماء إلى الوطن يوجب على أبنائه أن يعتزوا به، وأن يتكاتفوا جميعًا للحفاظ عليه، وأن يُسهموا بقوة في نهضته بالعلم والعمل والإنتاج، والمرابطة على ثغوره لتأمين حدوده وردع كل معتدٍ، والمشاركة في الأعمال التطوعية التي تخدم المجتمع.

ولله در القائل[2]:

وَزالـوا دونَ قَومِهِـمُ لِيَبقُوا بِـلادٌ مــاتَ فِتيَتُهـا لِتَحــيا

(١) سُنن الترمذي، أبواب المناقب، بَابٌ فِي فَضْلِ مَكَّةَ، حديث رقم ٣٩٢٦.
(٢) من قصيدة (ثمن الحرية) لأمير الشعراء أحمد شوقي، مرت في الصفحة السابقة.

إن الولاء للوطن والانتماء له يحتِّم على الإنسان أن يكون صادقًا في أعماله، لا يَكْذِب وطنه، ولا يخون أهله، ولا يغشهم، ولا يخدعهم، ولا يتآمر عليهم، ولا يبيع قضاياهم بأي ثمن، فالوطنية الحقيقية بناء لا هدم، إعمار لا تخريب، إن الوطنية الحقيقية فن صناعة الحياة وعمارة الكون، لا فن صناعة الموت والفساد والإفساد، حيث يقول ﷻ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[2].

والولاء للوطن والانتماء إليه مسئولية مشتركة بين الجميع، وكلٌّ مسئول أمام الله تعالى بحسب موقعه ومقدار الأمانة الملقاة على عاتقه، فنحن في سفينة واحدة، والنبي ﷺ يقول: (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ

(١) [سورة هود، الآية ٦١].
(٢) [سورة الأعراف، الآية ٥٦].

مَـنْ فَوْقَنَـا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُـمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُـوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَـذُوا عَـلَى أَيْدِيهِـمْ نَجَـوْا، وَنَجَـوْا جَمِيعًا)[1].

كما أن للمؤسسات دورها وعليها مسئوليتها في تحقيق الولاء والانتماء إلى الوطن؛ فللمؤسسات الدينية دورها في بيان أن مصالح الأوطان لا تنفك عن مقاصد الأديان، وأن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية وترسيخ دعائمها مطلب شرعي ووطني، وكذلك المؤسسات التعليمية والتربوية التي تغرس في أبنائنا الولاء والانتماء إلى الوطن، وتدربهم عمليًّا على حبه، وتنشئهم على القيم النبيلة، ومكارم الأخلاق.

إن الولاء والانتماء يتجسد عمليًّا من خلال الأعمال التي من شأنها رقيه واستقراره، فحب الوطن وحسن الانتماء إليه والولاء له والحرص على رفعة شأنه يحمِّل صاحبه أمانة ومسئولية تجعله يتفانى -بل ينصهر- ليرفع راية بلده عاليًا، كل في مجاله وميدانه، العالم بعلمه، والطبيب بطبه، والعامل بجهده وعرقه، والصانع بمهارته وصنعته، والجندي بفدائه

(١) صحيح البخاري، كِتَاب الشِّرَكَةِ، بَابٌ هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، حديث رقم ٢٤٩٣.

وتضحيته، وسهره على حماية وطنه، والمسئول بتفانيه في خدمة وطنه.

على أن حب الوطن ليس مجرد كلماتٍ تقال، أو شعاراتٍ ترفع؛ إنما هو سلوكٌ وتضحياتٌ، وحقوق تؤدى، من أعلاها وأشرفها: التضحية في سبيل الوطن وحمايته من أي خطر يتهدده، أو يقوض بنيانه، أو يزعزع أركانه، أو يروع مواطنيه، فحماية الأوطان من صميم مقاصد الأديان، وهذا سبيل الشرفاء، والعظماء الأوفياء، فالوطنية الحقيقية فداء، وتضحية، واعتزاز بالوطن وترابه، واحترام لعَلَمِهِ ونشيده وسائر مقدراته.

الوطنية الحقيقية تقتضي الحفاظ على المال العام، فهو ركيزة أساسية للدولة، تدير به شئونها، وتقيم مؤسساتها، وتقدم خدماتها، وترتقي بأفرادها ومجتمعها، وتسهم من خلاله في بناء حضارتها، يقول نبينا ﷺ: (إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ)[1]، والمال العام أحق بالحفاظ عليه.

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾[سورة الأنفال، الآية ٤١]، حديث رقم ٣١١٨.

الوطنية الحقيقية تقتضي دعم منتجات الوطن صناعة، وزراعة، وتجارة، وتسويقًا؛ بما ينمي قيمة الولاء والانتماء إلى الوطن، ويحقق الرخاء الاقتصادي لأبنائه؛ فكلما بذلنا الجهد عملًا وإتقانًا عظمنا من قدرات بلدنا الاقتصادية، وكلما أقبلنا على منتجات الوطن بيعًا وشراءً وتجارةً كلما أعطينا المنتجين والمصنعين الفرصة لرفع القدرة التنافسية، وأسهمنا في توفير المزيد من فرص العمل لأبنائنا.

كما أنها تقتضي احترام النظام العام، والالتزام بالقوانين؛ إذ لا بد لكل فئة تتعايش في مجتمع واحد من بعض الأنظمة والقواعد العادلة التي تضبط سلوك الأفراد، وتحفظ على الإنسان حقوقه، ويُلزَم فيها بأداء ما عليه من واجبات، وبِدون النظام لن ينال النَّاسُ حقوقهم، ولن يتحقق لهم العَدلُ؛ فالالتزام بالقوانين سلوك ديني وحضاري، ودعامة لا بد منها للحفاظ على كيان الدول واستقرارها ونمائها.

إن الوطنية الحقيقية تقتضي المشاركة بإخلاص في بناء الوطن، ويكون ذلك من خلال إتقان العمل، وجودة الإنتاج؛ بما يؤدي إلى تقدم الوطن وازدهاره، فإن ديننا

الحنيف لا يطلب من الناس مجرد العمل؛ إنما يطلب إتقانه وإحسانه، حيث يقول نبيناﷺ: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)[1]، ويقول ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: "مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ حَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَشَوْقُهُ إِلَى إِخْوَانِهِ"[2].

فما أحوجنا إلى تضافر الجهود في بناء الوطن؛ فالوطن لكل أبنائه، وهو بهم وبجهدهم وعرقهم جميعًا، كل في مجاله وميدانه، الجندي والشرطي في حفاظهما على أمن الوطن وأمانه، والطبيب في مشفاه، والفلاح في حقله، والعامل في مصنعه، وهكذا في سائر الصنائع والحرف والواجبات، حيث يقول ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[3].

* * *

(١) مسند أبي يعلى الموصلي ٧/ ٣٤٩، حديث رقم ٤٣٨٦.
(٢) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي، ص١٠٣، تحقيق: مجدي فتحي السيد، ط دار الصحابة للتراث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.
(٣) [سورة المائدة، الآية ٢].

مكارم الأخلاق وأثرها في بناء الحضارات

إن الدعوة إلى مكارم الأخلاق من القواسم المشتركة بين جميع الأديان السماوية، فحيثما وُجدت الأخلاق وُجد صحيح الدين، وها هو نبينا محمد ﷺ قد ختم الله ﷻ به الرسالات السابقة، ليجمع مكارم الأخلاق ويتممها، حيث يقول ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ويقول ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)[3].

والمتأمل في حياة نبينا ﷺ يجد أنها كانت تطبيقًا عمليًّا لأخلاق القرآن الكريم وقِيَمِه السامية، التي تتسق والفطرة الإنسانية السوية، فحينما سئلت السيدة عائشة ﵂ عن

(١) [سورة الأنعام، الآية ٩٠].
(٢) [سورة القلم، الآية ٤].
(٣) مسند البزار، ١٥/ ٣٦٤، حديث رقم ٨٩٤٩.

أخلاقه ﷺ، قالت: (كان خُلُقُه القُرآنَ)[1]، فكان ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض.

كما أن المتدبر في العبادات التي أمر بها الإسلام يجد أنها جاءت لترتقي بالأخلاق، وتهذبها، فما من فريضة فرضها الإسلام إلا ولها أثر أخلاقي يعود على من يقوم بها، وعلى المجتمع كله؛ يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[5].

إنَّ الأخلاق الفاضلة من أهم ركائز قيام الدول والحضارات، واستقرارُ الدول ودوامُها يعود إلى مدى

(١) مسند أحمد، ٤٢/ ١٨٣، حديث رقم ٢٥٣٠٢.
(٢) [سورة العنكبوت، الآية ٤٥].
(٣) [سورة التوبة، الآية ١٠٣].
(٤) [سورة البقرة، الآية ١٨٣].
(٥) [سورة البقرة، الآية ١٩٧].

تمسكها بالقيم النبيلة والأخلاق الحميدة، وقد خلَّد التاريخ بحروف من نور النجاشي ملك الحبشة، الذي اشتهر بالعدل ومكارم الأخلاق، فحينما اشتد أذى المشركين لنبينا ﷺ وأصحابه، أشار عليهم ﷺ أن يهاجروا إلى الحبشة؛ لعلمه أن ملكها صاحب أخلاق راقيةٍ، ومبادئ قويمة، حيث يقول ﷺ: (إِنَّ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ، حَتَّى يَجْعَلَ الله لَكُمْ فَرَجًا، وَمَخْرَجًا)[1].

إنَّ الأمم والحضارات لا يمكن أن تبنى بناءً سديدًا إلا إذا اعتمدت في أُسس بنائها على مكارم الأخلاق؛ فلا تتقدم أمة بدون الصدق والأمانة، ولا يستقيم بنيانها بدون الانضباط السلوكي، ولا تقوى بدون الإعداد، والشجاعة، ولا تتآلف بدون التآخي، والتكاتف، فالأمة الواحدة تشبه الجسد الواحد الذي يتعاون أعضاؤه على خدمته، وسلامته، ولا يكتمل الإيمان إلا باكتمال التحابِّ، والتآلف، والتعاون، حيث يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ

(١) السُّنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، بَابُ الإِذْنِ بِالْهِجْرَةِ، حديث رقم ١٧٧٣٤.

عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[2]، ويقول ﷺ: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[3].

إن التحلي بمكارم الأخلاق صمام أمان للمجتمعات من الانحلال والفوضى والضياع، وبزوالها تسقط الأمم، فكم من حضارات انهارت بتردي أخلاقها، وقد ذكر القرآن الكريم نماذج لأمم هلكت بسبب بعدها عن الأخلاق؛ حيث يقول ﷻ: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[5]، ويقول ﷻ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ

(١) [سورة المائدة، الآية ٢].
(٢) سبق تخريجه، ص ١٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، حديث رقم ١٣.
(٤) [سورة الذاريات، الآية ٤٦].
(٥) [سورة فصلت، الآية ١٥].

أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(١).

والمتأمل في جوهر الحضارة الإسلامية يجدها حضارة قيم وأخلاق، حيث يقول نبينا ﷺ: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُه)(٢)، ويقول ﷺ: (أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)(٣)، ويقول ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا)(٤).

إن من سُبل استعادة قيمنا وأخلاقنا الجميلة أن يبدأ كل منا بنفسه، وأن يكون قدوة في أخلاقه وسلوكه حيث حلَّ وحيث ارتحل، وحيث كان، وحيث أقام، وأن نغرس هذه

(١) [سورة العنكبوت، الآيتان ٢٨، ٢٩].
(٢) سُنن أبي داود، كِتَاب الأَدَبِ، بَابٌ فِي حُسْنِ الخُلُقِ، حديث رقم ٤٨٠٠.
(٣) مسند أحمد، ١٢/ ٣٦٤، حديث رقم ٧٤٠٢.
(٤) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعَالِي الأَخْلاَقِ، حديث رقم ٢٠١٨.

القيم في نفوس الشباب، فهم عماد الأمة، وقلبها النابض، وأملها في مستقبل مشرق، ولقد حكى القرآن الكريم ما كان من لقمان الحكيم مع ابنه، حيث غرس فيه الجوانب الأخلاقية، وحثّه على الإصلاح والعطاء، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[1].

فما أحوجنا إلى أن نجعل هذه القيم والأخلاق منهج حياة، وسلوكًا عمليًّا نتعايش به في مجتمعنا، ومع الناس جميعًا، فمن أراد الدين الحق والإنسانية الحقة، فليظهر أخلاقه للناس، فيحترم الكبير، ويعطف على الصغير، ويُجِلّ العالم، ويبتعد عن الكذب، والخيانة، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل، ويلتزم الصدق، والأمانة، ويتعامل بالحسنى مع الناس، وذلك مقصد الدين وهدفه، يقول

(١) [سورة لقمان، الآيات ١٧، ١٩].

تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

❊ ❊ ❊

(١) [سورة فصلت، الآيتان ٣٣، ٣٤].

التفوق العلمي وأثره في تقدم الأمم

لقد رغَّب الإسلام في طلب العلم، وحثَّ على الاجتهاد والتفوق العلمي، ولا أدل على ذلك من أن أول قضية تناولها القرآن الكريم هي قضية العلم، وأول أمرٍ سماوي نزل به الوحي هو الأمر بالقراءة، حيث يقول تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[1]، كما سُميت سورة كاملة في القرآن الكريم باسم سورة القلم، وبدأها الحق ﷻ بقوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[2]، تأكيدًا على أهمية أدوات العلم ووسائله، واستهلَّ ﷻ سورة الرحمن بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[3]، وفي هذا

(١) [سورة العلق، الآيات ١، ٥].
(٢) [سورة القلم، الآية ١].
(٣) [سورة الرحمن، الآيات ١، ٤].

تنبيه للناس كافة على بيان فضل العلم، والحث عليه، وإشارة صريحة إلى أن الإسلام دين العلم والمعرفة، وأن الأمة الإسلامية هي أمة العلم والحضارة.

ولله درُّ شوقي حين يقول:

لم يُبنَ مُلْكٌ على جهلٍ وإقلالِ بالعِلمِ والمالِ يَبني النّاسُ مُلْكَهُمُ

ويكفي العلم شرفًا أن الله ﷻ لم يأمر نبيه محمد ﷺ بالازدياد من شيء في الدنيا إلَّا من العلم؛ حيث يقول ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]؛ بل إن النبي ﷺ جعل الخروج لطلب العلم خروجًا في سبيل الله ﷻ، وبيَّن أن الجد في طلبه والتفوق فيه سبب من أسباب دخول الجنة، حيث يقول ﷺ: (مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعْ)[2]، ويقول ﷺ: (وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)[3].

وقد بَيَّن نبينا ﷺ أن أهل العلم هم ورثة الأنبياء في إرشاد الناس، وهدايتهم، والأخذ بناصيتهم إلى طريق

---

(١) [سورة طه، الآية ١١٤].

(٢) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الْعِلْمِ، بَابُ فَضْلِ طَلَبِ العِلْمِ، حديث رقم ٢٦٤٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم ٢٦٩٩.

الحق والنور، والتقدم والرقي، فقال ﷺ: (إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وَإنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَإنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ)[1]، ويقول ﷺ: (وَإنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ)[2].

إنَّ التفوق العلمي الذي رغَّب فيه الإسلام ليس مقتصرًا على التفوق في ميدان العلم الشرعي فحسب، وإنما يشمل كل علم ينفع الناس في شئون دينهم، وشئون دنياهم؛ ولذلك فقد جاء قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[3]، في معرض الحديث عن العلوم الكونية، حيث يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ

(١) سُنن أبي داود، أول كتاب العلم، باب الحثِّ على طلب العلم، حديث رقم ٣٦٤١.
(٢) هو جزء من الحديث السابق.
(٣) [سورة فاطر، الآية ٢٨].

مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1]، وفي ذلك دلالة على اهتمام الإسلام وعنايته بالعلوم الكونية كاهتمامه وعنايته بالعلوم الشرعية، وأن التفوق العلمي في شتى المجالات من أهم عوامل بناء الحضارات واستمرارها.

ولله در القائل[2]:

فَالحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إلى القَلَمِ بِقُوَّةِ العِلْمِ تَقْوَى شَوْكَةُ الأُمَمِ

فلا شك أنَّ العلم أهم سُبل تقدم الأمم، فبالعلم تبنى الأمم، وتستصلح الأراضي، وتَعْظُم السُّلالات، وتُدَار التجارات، وتُطَور الصناعات، وتُعَالج الآفات، وتستخرج المعادن، والأمة العظيمة هي التي تبهر العالم بما تنتجه من علم ومعرفة، وما تتقنه من زراعة، وصناعة، وتجارة، وثقافة، وما تخرجه من الأطباء البارعين، والمهندسين المتقنين، و الصُّنَّاع الحرفيين الماهرين.

فما أحوجنا إلى أن نأخذ بأسباب التفوق العلمي في مختلف المجالات؛ فإننا إذا تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا

(١) [سورة فاطر، الآيتان ٢٧، ٢٨].
(٢) ديوان محمود سامي البارودي، ص: ٧٥.

ودنيانا، وعلى كل منا أن يسعى لأعلى درجات التفوق في مجاله عالمًا، أو باحثًا، أو صانعًا، أو حرفيًّا؛ حتى يسهم في تقدم وطنه ورقيّه، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، فإذا كان المطلوب هو أن تنفر طائفة من كل فرقة ليتفقهوا في علوم الدين، فإن على الباقين أن ينفروا فيما ينفع البلاد والعباد، فتنفر فرقة لطلب الطب، وأخرى لطلب الهندسة، وثالثة للعمل بالزراعة، ورابعة للعمل في الصناعة، وخامسة للاشتغال بالتجارة، وهكذا في سائر الفنون والحرف والصناعات.

* * *

(١) [سورة التوبة، الآية ١٢٢].

الصلابة في مواجهة الجوائح والأزمات

ينبغي لنا ونحن في استقبال العام الجديد أن نتحلى بمزيد من الأمل في الله ﷻ، والأمل في غد أفضل، فالأمل حياة، وهو شعاع النور الذي يبدد ظلام اليأس في القلوب، ويبعث في النفس العزيمة، والقوة، والصلابة في مواجهة الجوائح والأزمات، كما أن الأمل وحسن الظن بالله تعالى يشرحان صدر الإنسان للعمل، والعطاء، والجد، والمتأمل في القرآن الكريم يجده مفعمًا بالأمل، حيث يقول ﷻ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2].

ولقد اتسمت دعوة النبي ﷺ بالأمل والتفاؤل، فكان ﷺ يبث روح الأمل في قلوب أصحابه بمستقبل مشرق، وغدٍ

(١) [سورة الحجر، الآية ٥٦].
(٢) [سورة الشرح، الآيتان ٥، ٦].

باهر لا يعرف اليأس، ولا الإحباط، وكان ﷺ يحب الفأل، ويكره التشاؤم، يقول ﷺ: (بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا)[1]، ويقول ﷺ: (وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[2].

لقد مر العالم بأحداث عظيمة، وإن الأمة التي تجعل من الأحداث التي مرت بها دافعًا قويًّا إلى الأمل والعمل، وتستفيد من الأزمات والجوائح الدروسَ والعبرَ، إنما تشق طريق العبور نحو مستقبل أفضل، في عالم لا مكان فيه لمن لا يأخذون بأسباب الحياة بمنتهى الجد مع اعتمادهم على الله ﷻ ولجوئهم إليه، وحسن توكلهم عليه، فالإنسان مأمور بالأخذ بأسباب الحياة ما دام فيه نفس يتنفسه، يقول نبينا ﷺ: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغرِسَها فليَغرِسْها)[3]، وقد قالوا: اعمل

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ، حديث رقم ١٧٣٢.

(٢) مسند أحمد، ٥/ ١٨، حديث رقم ٢٨٠٣.

(٣) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ اصْطِنَاعِ الْمَالِ، حديث رقم ٤٧٩.

لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، فما أحوجنا إلى هذا التوازن بين عمارة الدنيا، والأخذ بأسبابها، والعمل على مرضاة الله ﷻ في هذه الأسباب.

إن من الأخذ بالأسباب في مواجهة الأزمات والجوائح: تنفيذ التوجيهات التي تصدر عن مؤسسات الدولة الرسمية، والأخذ بالإجراءات الاحترازية التي دعت إليها، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]، ومنها: الأخذ بكل أسباب العلم ليحمي الإنسان نفسه وغيره، ومن الأخذ بأسباب العلم: أن نلتزم بتوجيهات أهل الطب في مواجهة انتشار فيروس (كورونا) المستجد، وذلك بالالتزام بجميع الإجراءات الاحترازية الوقائية، وأهمها الحفاظ على مسافات التباعد الاجتماعي.

وعلينا مع الأخذ بالأسباب أن نكثر من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وأن نذكره ﷻ في كل أحوالنا كما أمرنا، وأن نكثر من الصدقات، يقول ﷻ: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا

(١) [سورة النساء، الآية ٥٩].

تَضَرَّعُواْ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ)[3]، ويقول ﷺ: (حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوْا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ)[4].

* * *

(١) [سورة الأنعام، الآية ٤٣].
(٢) [سورة الأحزاب، الآية ٤١].
(٣) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى، حديث رقم ٣٣٨٨.
(٤) المعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٢٨، حديث رقم ١٠١٩٦.

الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّنٌ

إن من عظمة الشريعة الإسلامية أنها جاءت بالخير والنفع والفضل والسّعة، وأرشدت الناس إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة؛ فأحلت لهم كل طيب، وحرمت عليهم كل خبيث، ونهت عن كل ضرر، وشرعت كل ما يقيم الحياة، ويحفظ على الناس أمنهم واستقرارهم؛ حيث يقول تعالى:﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (لا ضَرَرَ وَلا ضِرَار)[3].

(١) [سورة الأعراف، الآية ١٥٧].
(٢) [سورة النحل، الآية ٩٧].
(٣) سُنن ابن ماجه، كِتَابُ الْأَحْكَامِ، بَابُ مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضرُّ بِجَارِهِ، حديث رقم ٢٢٣٤.

والمتدبر في أحكام الشريعة الإسلامية يجد أن مساحة الحلال فيها واسعة، ومساحة الحرام ضيقة محدودة، وأن كليهما واضح بَيِّنٌ، حيث يقول ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (إن الحَلالَ بَيِّنٌ وَإنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُما أمور مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ الناس، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِك أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا وَإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُه، أَلا وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْب)[2].

ويقول نبينا ﷺ (إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا، وَإنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِيْنَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟

(١) [سورة الأنعام، الآية ١٥١].
(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ أَخْذِ الحَلاَلِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، حديث رقم ١٥٩٩.

﴿مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟!)[3]، وحذر ديننا الحنيف من مغبة أكل الحرام، يقول نبينا ﷺ: (لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ)[4]، وفي رواية: (وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)[5].

لعل أهم فارق بين العلماء والجهلاء هو مدى فهم هؤلاء وأولئك لقضايا الحِل والحرمة، والضيق والسعة؛ فالعالم يدرك أن الأصل في الأشياء الحل والإباحة، وأن التحريم والمنع هو استثناء من الأصل، حيث يقول ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ

(١) [سورة المؤمنون، الآية ٥١].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٧٢].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، حديث رقم ١٠١٥.
(٤) سُنن الترمذي، أبواب السفر، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي فَضْلِ الصَّلاَةِ، حديث رقم ٦١٤.
(٥) المعجم الكبير للطبراني ١٩/ ١٣٥، حديث رقم ٢٩٨.

مَيْـتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (إِنَّ الله حَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَفَرَضَ لَكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَتَرَكَ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِنْهُ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا وَلَا تَبْحَثُوا فِيهَا)[2]، ويقول ﷺ: (مَا أَحَلَّ الله فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَافِيَةٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ الله عَافِيَتَهُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا)[3]، ويقول الإمام النووي: "وأما من صحَّ قصدُه، فاحتَسَبَ في طَلَب حيلةٍ لا شُبهةَ فيها، لتخليصٍ من ورطة يمينٍ ونحوها، فذلك حسنٌ جميلٌ، وعليه يُحمَلُ ما جاء عن بعض السَّلَفِ من نحو هذا، كقَولِ سُفيان الثوري: "إنَّما العلمُ عندنا الرُّخصةُ من ثِقَةٍ، فأمَّا التشديدُ فيُحسِنُه كُلُّ أحدٍ"[4].

(١) [سورة الأنعام، الآية ١٤٥].
(٢) المستدرك للحاكم، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، حديث رقم ٧١١٤.
(٣) السُّنن الكبرى للبيهقي، أَبْوَابُ مَا لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ وَمَا يُجُوزُ لِلْمُضْطَرِّ مِنَ الْمَيْتَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بَابُ مَا لَمْ يُذْكَرْ تَحْرِيمُهُ، وَلَا كَانَ فِي مَعْنَى مَا ذُكِرَ تَحْرِيمُهُ مِمَّا يُؤْكَلُ أَوْ يُشْرَبُ، حديث رقم ١٩٧٢٤.
(٤) آداب الفتوى للنووي، ص: ٣٧.

فالجهلاء يجعلون الأصل في كل شيء المنع والتحريم، ويطلقون مصطلحات التحريم والتفسيق والتبديع والتكفير دون وعي، غير مدركين ما يترتب على ذلك من آثار، وغير مفرقين بين التحريم والكراهية، ولا حتى ما هو خلاف الأَوْلى، فصعَّبوا على الناس حياتهم، ونفَّروهم من دين الله ﷻ، وهو ما حذرنا منه ربنا ﷻ، ونبينا ﷺ، حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا)[2].

* * *

(١) [سورة النحل، الآية ١١٦].

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لَا يَنْفِرُوا، حديث رقم ٦٩.

حقـوق الجار

لقد حرص الإسلام على دعم أواصر المحبة بين أفراد المجتمع مما يمنحه قوةً وتماسكًا، ومما يشيع روح التعاون بين الناس ويزيد المجتمع ثباتًا واستقرارًا مراعاةُ حقوقِ الجار التي أعلى الإسلام شأنها واهتم بها أيّما اهتمام؛ بل جعلها من علامات الإيمان، فقد جعل النبيﷺ الإيمانَ مشروطًا بالإحسان إلى الجار؛ حيث يقول: (مَنْ كَانَ يُؤْمِن بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ)[1]، كما جعل حُسنَ معاملة الجار وإكرامَه من الإيمان أيضًا، قال ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِن بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ)[2]، ولقد أوصى الله ﷻ في كتابه الكريم بالجار وأمر بالإحسان إليه، فقال

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلاَّ عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الإِيمَانِ، حديث رقم ٤٨.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، حديث رقم ٦٠١٩.

تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[1]، ولهذا كان كثيرًا ما ينزل الوحي على النبي ﷺ يوصي بالجار حتى ظنَّ النبي ﷺ أن الله ﷻ سيشرع ميراثًا بين الجيران من شدة الوصية بهم، قال ﷺ: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)[2].

إن الجار في نَظَر الإسلام مُعينٌ، وناصِرٌ، وحارِسٌ، وأمينٌ، يُطْعِمُكَ إذا جُعْت، ويُشاركك في الأفراح والمناسبات الطيبة، ويُواسي ويُعزِّي في المصائب والأتراح، ويُرْشِد، وينصَح، ويتعاوَن معك على البرّ والتقوى، ويعودُك إذا مرِضْت، ويزورُك زيارة الأخوّة الخالصَة، ويحْفظُك في أهلك وولدك، ولا يخونك في مالٍ ولا أهلٍ.

قال الإمام الغزالي ﵀: "وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال،

(١) [سورة النساء، الآية ٣٦].
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ الوَصَاةِ بِالجَارِ، حديث رقم ٦٠١٥.

ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجِذْع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه[1].

ومن حقوق الجار تفقد حاله لا سِيَّما الفقير وذو الحاجة، وهذا من الإيمان والمروءة، قَالَ ﷺ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ)[2]، فالإحسان إلى الجار يشمل كل وجوه الخير، فعَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُم لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ)[3]، فالإحسان إلى الجار دليل على صدق

(١) إحياء علوم الدين، ٢/ ٢١٣.
(٢) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ لاَ يَشْبَعُ دُونَ جَارِهِ، حديث رقم ١١٢.
(٣) سُنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الجِوَارِ، حديث رقم ١٩٤٤.

الإيمان بالله تعالى، وعلى التخلق بمكارم الأخلاق وعلى كمال العقل ورجاحته.

ومن إكرام الجارِ والإحسان إليه: المُبادرةُ بتقديم هديةٍ إليه قليلة كانت أو كثيرة، إذ إن الهدية في ذاتها رسول يحمل الصلة والألفة، قال رسول الله ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)[1]، وعَن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: (إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا)[2]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ)[3]. وقوله (فرسن شاة): هو ما فوق الحافر، وهو كالقدم للإنسان، والمقصود: الحض على التصدق ولو بالقليل، يقول النووي رحمه الله: "وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمُعطية المُهدية، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها - أي لظنها أنها قليلة - واحتقارها الموجودَ عندها، بل تجود بما تيسر وإن كان قليلا كفرسن شاة،

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، حديث رقم ٢٦٢٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الشفعة، بَاب أَيُّ الجِوَارِ أَقْرَبُ؟، حديث رقم ٢٢٥٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَاب لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، حديث رقم ٦٠١٧.

وهو خير من العدم، وقد قال الله تعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾"[1].

ومن حقوق الجار كف الأذى عنه، فهذا الحق من أعظم حقوق الجيران، وإلحاق الأذى بالآخرين وإن كان حرامًا بصفة عامة فإن حرمته تشتد إذا كان متوجهًا إلى الجار، وقد حذر النبي ﷺ من أذية الجار أشد التحذير فأقسم على انتفاء كمال الإيمان عمن لا يأمنُ جارهُ شرَّه، فعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ، وَالله لاَ يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَن يُا رَسُولَ الله؟ قَالَ الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قِيلَ: وَمَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ: شَرُّهُ)[2]، فهذا الجار الذي لا يُراعي للجوار حقًّا ولا حرمة، يعيش جارُه في خوفٍ وقلقٍ بسببه، ولا يَأمن على نفسه وماله وعرضه منه، إنه جار لم يعرف الإيمانُ إلى قلبه سبيلًا، وقد جعل النبي ﷺ أذي الجار سببًا في عدم دخول الجنة أيضًا، قال ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)[3].

(١) شرح مسلم للنووي، ٧/ ١٢٠، والآية: ٧ من سورة الزلزلة.
(٢) مسند أحمد، ١٤/ ١٥٣، حديث رقم ٨٤٣٢.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ، حديث رقم ٤٦.

ومن حقوق الجار أيضًا تحمل الأذى منه، فكما قال الحسن ﷺ: "لَيْسَ حُسْنُ الْجِوَارِ كَفّ الْأَذَى، وَلَكِنَّ حُسْنَ الْجِوَارِ احْتِمَالُ الْأَذَى"(١)، فتَحَمُّلُ أذى الجار من شيم الكرام ذوي الأخلاق الكريمة والهمم العالية، إذ يستطيع كثيرٌ من الناس أن يكفّ أذاه عن الآخرين، لكن أن يتحمل أذاهم صابرًا محتسبًا فهذه درجة عالية، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٢)، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(٣).

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة والمثل، فقد آذاه أهله وجيرانه إبّان البعثة النبوية المباركة، فما زاده ذلك إلا حلمًا وعفوًا، وما حدث منه ﷺ بعد فتح مكة لهو من أصدق الأمثلة الواقعية على تأكيد الإسلام على الإحسان والصفح.

على أننا نؤكد أن الإحسان إلى الجار عبادة بينك وبين الله تعالى، فلا تتعلل بسوء معاملته، فإن أجرك على الله تعالى،

(١) إحياء علوم الدين، ١ / ٢٦٣.
(٢) [سورة الشورى، الآية ٤٣].
(٣) [سورة فصلت، الآية ٣٤].

فقد رُوي أن رجلًا جاء إلى ابن مسعود ﷺ فقال له: "إن لي جارًا يؤذيني ويشتمني ويُضَيِّقُ عَليَّ ؟ فقال: (اذهب فَإِن هُو عَصَى اللهَ فِيكَ فَأطِع اللهَ فِيه"[1].

ذلك لأن الإحسان يغلب الإساءة، والصلة تَجُبُّ القطيعة، فالتعامل مع الجار يكون بالفضل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (لَا يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ)[2].

وقد تحدث العلماء عن حدود الجوار الذي أمر الإسلام بمراعاته وجعل له حرمة، يقول القاضي عياض ﷺ: واختُلف فى حد الجار، فجاء عن علي ﷺ: من سمع النداء فهو جار، وقيل: من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار، وعن عائشة ﷺ: (حَدُّ الجِوَار أَربَعُون دارًا مِن كُل جَانبٍ)[3].

لكن كلما قَرُبَ الجار عَظُمَ حقه، يقول الحافظ ابن حجر ﷺ: "واسم الجار يشمل المسلمَ والكافر، والعابد

(١))) إحياء علوم الدين، ٢/ ٢١٢.
(٢))) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ غَرْزِ الخَشَبِ فِي جِدَارِ الجَّارِ، حديث رقم ١٦٠٩.
(٣))) إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، ١/ ٢٨٤.

والفاسق والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأُول كلها ثم أكثرها، وهلم جرًّا"[1].

والجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق، وهو المسلم القريب، له حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، وجار له حقان، وهو المسلم غير القريب، له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له حق واحد، وهو الجار غير المسلم له حق الجوار، فيشمله ما أمر الله تعالى به من البر والإحسان إليه، سبحان الله! حتى من هو على غير ملة الإسلام يأمرنا ربنا ﷻ أن نحسن جواره، فهل بعد هذا دليل على أهمية الجوار في الإسلام؟!.

هذا وليعلم كل واحد منا أن الجوار دائرته أوسع وأشمل، والتي على أساسها ينشأ التعارف والتآلف الذي قال عنه ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ

(١) فتح الباري، ١٠/ ٤٤١.

ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1]، ويصبح المجتمع جسدًا واحدًا متعاونًا في الخير متضامنًا في الشدة، بل ربما يتسع مفهوم الجوار في الإسلام ليشمل القرى والمدن والدول وكل هؤلاء لهم حقوق وعليهم واجبات.

* * *

(١) [سورة الحجرات، الآية ١٣].

جبر الخاطر وأثره فى الفرد والمجتمع

جاء الإسلام برسالة جامعة للقيم الفاضلة والمُثُل العُليا، ومن تلك القيم الفاضلة قيمة جبر الخاطر، فهي قيمة تنبئ عن شرف النفس، ورقة القلب، وقد أعلى الله ﷻ من شأن هذه القيمة النبيلة، حيث وصف نفسه بالجبر وجعلها صفة من صفاته، تتعلق باسمه تعالى (الجبَّار)، حيث يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾[1]، يجبر الفقير بالغنى والمريض بالصِّحة، قال القرطبي رحمه الله: "هُوَ مِنَ الْجَبْرِ وَهُوَ الْإِصْلَاحُ، يُقَالُ: جَبَرْتُ الْعَظْمَ فَجَبَرَ، إِذَا أَصْلَحْتُهُ بَعْدَ الْكَسْرِ، فَهُوَ فَعَّالٌ مِنْ جَبَرَ إِذَا أَصْلَحَ الْكَسِيرَ وَأَغْنَى

(١) [سورة الحشر، الآية٢٣].

الْفَقِيرَ"[1]، وكان من دعاء نبينا ﷺ: (اللهمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي)[2].

كما تجلى الله ﷻ على عباده فجبر خواطرهم، وطيَّب نفوسهم، فهذه أم سيدنا موسى عليه السلام حين تفطَّر قلبها على ولدها خوفًا عليه ردَّه الله ﷻ إليها؛ جبرًا لخاطرها، حيث يقول ﷻ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، وهذا يعقوب عليه السلام يأتيه الفرج من الله ﷻ بعد الشدة والبلاء، فيرد الله إليه بصره وولديه، حيث يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]، ولما أُخرج نبينا ﷺ من وطنه مكة جبر الله تعالى خاطره، وأوحى إليه في طريقه إلى المدينة قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[5]، أي: إلى مكة مرة أخرى.

---

(١) تفسير القرطبي، سورة الحشر، ١٥/ ٢١١.
(٢) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ مَا يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، حديث رقم ٢٨٤.
(٣) [سورة القصص، الآية ١٣].
(٤) [سورة يوسف، الآية ٩٦].
(٥) [سورة القصص، الآية ٨٥].

ويتجلَّى خُلُق جبر الخاطر في حياة نبينا ﷺ حينما عاد إلى زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها، وقد ظن أن شرًّا أحاط به، فقالت له تطييبًا لنفسه وجبرًا لخاطره ﷺ: (كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ)[1]، وحين لقي نبيُّنا ﷺ جابرَ بن عبد الله رضي الله عنهما منكسرًا بعد استشهاد أبيه عبد الله رضي الله عنه وترْكه عيالًا ودَيْنًا، جبر ﷺ خاطر جابر رضي الله عنه، وقال له: (.. أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ)؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ)[2].

ويضرب لنا نبينا ﷺ أعظم الأمثلة في جبر الخواطر، حينما جاءه فقراء المهاجرين وقالوا له: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ حديث رقم٣، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حديث رقم ١٦٠.
(٢) سُنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، حديث رقم٣٠١٠.

نصوم، ويتصدقون بفُضول أموالهم، فقال لهم ﷺ: (أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ...)[1].

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت بجبر خواطر الناس جميعًا، لا سِيَّما الضعفاء منهم، حيث يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2]، أي: طيِّب خاطرهما وأحسن إليهما، ويقول نبينا ﷺ: (هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!)[3]، ويقول ﷺ: (أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا)، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى[4]، ويقول ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ)[5]،

(١)صحيح مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، حديث رقم ١٠٠٦.

(٢)[سورة الضحى، الآيتان ٩، ١٠].

(٣)صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنِ اسْتَعَانَ بِالضُّعَفَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الحَرْبِ، حديث رقم ٢٨٩٦.

(٤)صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَعُولُ يَتِيماً، حديث رقم ٦٠٠٥.

(٥)متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب النفقات، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ، حديث رقم ٥٣٥٣، واللفظ له، وصحيح مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الإِحْسَانِ إِلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ،حديث رقم٢٩٨٢.

وحين سُئِلَ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَال أَفْضَلُ؟ قَال: (أَنْ تُدْخِلَ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِم سُرُورًا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْزًا)[1]، وقال ﷺ: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِم، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ)[2].

ومما لا شك فيه أنَّ جبر الخاطر قيمة أخلاقية تمتد لتشمل التكافل بين المجتمع كله، فالإسلام لا يَعْرِف الأنانية أو السلبية، وإنما يعرف الإخاء الصادق، ومراعاة مشاعر الناس، وجبر خواطرهم، حيث يقول نبينا ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ

(١) شعب الإيمان للبيهقي، الثالثة والخمسون من شعب الإيمان، التعاون على البر والتقوى، حديث رقم ٧٢٧٣.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٤٥٣، حديث رقم ١٣٦٤٦.

عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)[1]، ويقول ﷺ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ)[2].

إنَّ جبر الخاطر كما يكون بالفعل فقد يكون بكلمة حسنة، أو بدعاء صادق، أو بنصيحة خالصة، أو بابتسامة طيبة، حيث يقول نبينا ﷺ (لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طَلْقٍ)[3]، أي: مبتسم مستبشر، فجبر الخاطر له تأثير عظيم في تأليف القلوب، ووحدة الصف، وترابط المجتمع.

* * *

(١) سبق تخريجه، ص ١٩.
(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُوَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، حديث رقم ١٧٢٨.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، حديث رقم ٢٦٢٦.

قيمة الاحترام

إنَّ التمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة من أهم ركائز قيام الدول والحضارات، ولا يمكن أن تُبنَى الحضارات بناءً سديدًا، وتستقر، وتتفوَّق على غيرها إلَّا إذا قامت على الأخلاق والقيم؛ حيث يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، وإنَّما تتماسك المجتمعات، وتتآلف، ويّقْوَى رِبَاطُها من خلال احترامها لقيمها وامتثالها لها، ولله در القائل[2]:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

ولا شك أنَّ قيمة الاحترام من أهم هذه القيم الإنسانية النبيلة التي دعا إليها الإسلام، والتي يتمنى كل إنسان أن

(١) [سورة آل عمران، الآية ١١٠].
(٢) البيت: لأمير الشعراء أحمد شوقي، شعر شوقي في ميزان النقد، ص: ٨٥.

ينتسب إليها أو يوصف بها، ولقد دعا ديننا الحنيف إلى التحلي بهذه القيمة في جميع صورها، ومنها: احترام الذات بأن يرعى الإنسانُ مروءَته، ويصون نفسه عن فعل ما يعاب به أو يُذَمّ، فيجتنب مواطن الريبة والتهمة، حيث يقول نبينا ﷺ: (فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ)[1]، ويقول ﷺ: (لاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ)[2].

ويقول القاضي الجرجاني[3]:

من الذلِّ أعتدُّ الصيانةَ مَغنمَا وما زلتُ منحازًا بعرضيَ جانبًا
ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تَحتَملُ الظَّمَا يقولون هذا مَشْربٌ قلتُ قد أرى
ولا كلُّ من في الأرضِ أرضاه مُنْعَمًا وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزُّني

ويقول آخر[4]:

عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَهُ

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الْحَلاَلِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، حديث رقم ١٥٩٩.
(٢) سُنن الترمذي، أبواب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيَاحِ، باب منه، حديث رقم ٢٢٥٤.
(٣) هو: علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي القاضي الجرجاني، ولد سنة ٣٢٢هـ وتوفي سنة ٣٩٢هـ له من الكتب: الوساطة بين المتنبي وخصومه. انظر: روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام لابن الأزرق الغرناطي، ت هـ٨٩٦، ٢/ ٩٥٥.
(٤) من شعر الشنفرى الأزدي لأبي فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي، ص: ٥، وشرح المبرد على لامية العرب، ص: ١٣.

ويقول عنترة العبسي[1]:

يصدُّني عنها الحياء وتكرُّمي فأرى مغانمَ لو أشاء حويتها

ومنهـا: احترام المختلف دينيًّـا أو عرقيًّا أو ثقافيًّا، باحترام حقوقـه الماديـة والمعنويـة، فللآخـر حـق احـترام جسـده ومالـه وممتلكاتـه، وحريتـه وكرامتـه، وعقيدته، والإسـلام ديـن يحـترم الإنسـان، ويدعـو إلى احترامه وتكريمـه، حيث يقـول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[3]، ويقـول ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[4]، ويتجلَّى ذلـك حـين مـرَّت جَنـازة، فقـام لها نبينـا ﷺ، فقيل: يَـا رَسُـولَ الله إِنَّهَـا جِنَازَةُ يَهُـودِيٍّ! قَـالَ: (إِذَا رَأَيْتُـمُ الجِنَـازَةَ فَقُومُوا)[5].

---

(١) ديوان عنترة بن شداد، ص: ١٨٥.

(٢) [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

(٣) [سورة البقرة، الآية ٢٥٦].

(٤) [سورة الممتحنة، الآية ٨].

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يُهُودِيٍّ، حديث رقم ١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣١١، وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، حديث رقم ٩٥٨.

ومنها: احترام الكبير سنًّا أو مقامًا، وتوقيره، وتقديره، حيث يقول نبينا ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)[1]، ويقول ﷺ: (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)[2]، وقد تجلت تلك القيمة حين أمر نبيُّنا ﷺ الصحابة ﷺ بالقيام إلى سيدنا سعد بن معاذ ﷺ وقال لهم: (قُومُوا إِلى سَيِّدِكُمْ)[3]، وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: "أبو بكر سيدُنا، وأعتق سيدَنا – يعني: بلالًا ﷺ"[4]، وسأل نبينا ﷺ أصحابه ﷺ عن شجرة مَثَلُها مَثَلُ المسلم، فقَالَ: (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟)، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي، قَالَ عَبْدُ الله: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: (هِيَ النَّخْلَةُ)[5]، فكانت إجابة ابْنِ عُمَرَ ﷺ

(١) سُنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الصِّبْيَانِ، حديث رقم ١٩٢١.
(٢) سُنن أبي داود، كتاب الأدب، بَابٌ فِي تَنْزِيلِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ، حديث رقم ٤٨٤٢.
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ إِذَا نَزَلَ العَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ، حديث رقم ٣٠٤٣، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، حديث رقم ١٧٦٨.
(٤) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق، حديث رقم ٣٧٥٤.
(٥) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابُ قَوْلِ الْمُحَدِّثِ: حَدَّثَنَا، وَأَخْبَرَنَا، وَأَنْبَأَنَا، حديث رقم ٦١، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، حديث رقم ٢٨١١.

صحيحة، ولكنه مع صغر سنِّه استحيا أن يجيب النبيَّ ﷺ في حضرة الصحابة الكرام، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما؛ احترامًا لهما، ولكبار الصحابة رضي الله عنهم.

إن من أرقى صور الاحترام: احترام المعلم، وتوقيره، والتواضع له، والوفاء بحقه، لا سِيَّما أن الإسلام قد أعلى قدره، وكرمه، حيث قرن الله ﷻ شهادة العلماء بشهادته ﷻ وشهادة الملائكة عليهم السلام، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ

(١) [سورة آل عمران، الآية ١٨].
(٢) [سورة المجادلة، الآية ١١].

يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[1]، وعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: "رَكِبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، فَأَخَذَ ابْنَ عَبَّاسٍ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ: لا تَفْعَلْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا، فَقَالَ زَيْدٌ: أَرِنِي يَدَكَ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ فَقَبَّلَهَا زَيْدٌ، وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ"[2].

ويقول الشاعر[3]:

كادَ المُعَـلِّمُ أَن يَكونَ رَسولا قُـم لِلـمُـعَلِّمِ وَفِّـهِ التَّـبـجيـلا
يَبني وَيُنشِـئُ أَنفُسًا وَعُـقولا أَعَلِمتَ أَشرَفَ أَو أَجَلَّ مِنَ الذي

فما أحوجنا إلى أن تسود قيمة الاحترام في مجتمعاتنا؛ وتتحول إلى ثقافة عامة يتعايش بها الصغير والكبير، والرجل والمرأة، ويحيا بها المجتمع ويرتقي حتى يعم التآلف والرقي والتقدم والاستقرار.

* * *

(١) سُنن أبي داود، أول كتاب العلم، باب الحثِّ على طلب العلم، حديث رقم ٣٦٤١.
(٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري، ٤/ ١٤٦، وعيون الأخبار لابن قتيبة، ١ / ٣٨٠، ٣٨١.
(٣) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي لأحمد قبش بن محمد نجيب ٧/ ٣٠٠.

المواساة في القرآن الكريم

إن المواساة من القيم الإسلامية النبيلة، والأخلاق الإنسانية الفاضلة التي يُعين بها الإنسان غيره على التغلب على أحزانه وآلامه، والمتأمل في كتاب الله ﷻ يجد أنه قد أولى قيمة المواساة عناية خاصة، بل إن الله ﷻ تولَّى بنفسه مواساة أنبيائه وأوليائه وأصفيائه، فهذا سيد الخلق ﷺ حين آذاه قومه ولاقى منهم الصدود والإعراض واساه ربه ﷻ بقوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾[1]، أي: اصبر لقضاء ربك فيما حمَّلك من رسالته، وفيما ابتلاك به من قومك، فإنك بأعيننا نراك ونحفظك، ونحوطك، ونحرسك.

وحين تفطَّر قلبه ﷺ حزنًا على إعراض قومه عن الاستجابة لنداء الحق، واساه ربنا ﷻ بقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ

(١) [سورة الطور، الآية ٤٨].

عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[1]، وبقوله ﷻ: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[2] أي: لعلك مُهلِكٌ نفسَك حزنًا بسبب توليهم وإعراضهم عن الحق، فهذه الآيات وأمثالها نزلت مواساةً وتطييبًا لخاطر نبينا ﷺ، كما واساه ربه ﷻ موجهًا إياه ألا يُحمِّل نفسه فوق طاقتها، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَـٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٖ ﴾[4]، ويقول ﷻ: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾[5]، فلا تُكلِّف نفسك تكليفًا شاقًّا مُضْنيًا، فما عليك إلَّا البلاغ والبيان، أما هداية التوفيق فمن الله وحده، حيث يقول ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[6].

(١) [سورة الكهف، الآية ٦].
(٢) [سورة الشعراء، الآية ٣].
(٣) [سورة الرعد، الآية ٤٠].
(٤) [سورة الغاشية، الآية ٢٢].
(٥) [سورة الأنعام، الآية ٣٣].
(٦) [سورة القصص، الآية ٥٦].

كما أن المتأمل في القرآن الكريم يرى مواساة الله ﷻ لأم موسى عليها السلام، حين أُمِرت أن تُلقِي ولدها عليه السلام في اليم، فتفطَّر قلبُها خوفًا عليه، فواساها الله ﷻ وطمأن فؤادها، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]، ثم واساها ﷻ حين رد ولدها عليه السلام إليها ردًّا جميلًا، حيث يقول ﷻ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

كما جاءت المواساة في القرآن الكريم للسيدة مريم عليها السلام، حين اشتد عليها الأمر، فقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[3]، فأمر الله تعالى من يناديها ليطمئن قلبها، حيث يقول ﷻ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ

(١) [سورة القصص، الآية ٧].
(٢) [سورة القصص، الآية ١٣].
(٣) [سورة مريم، الآية ٢٣].

ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾[1].

فصور المواساة كثيرة، منها: المواساة بالمال، والمواساة بالنصيحة، والمواساة بالمشاركة الوجدانية، والمواساة بالدعاء، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم مواساة الرجل الصالح لسيدنا موسى عليه السلام حين خرج خائفًا من قومه، وقصَّ عليه ما كان من أمر فرعون معه، فواساه قائلًا: ﴿لَا تَخَفۡ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، كما ذكر لنا القرآن الكريم مواساة الملائكة عليهم السلام لسيدنا لوط عليه السلام حين خاف من قومه، قائلين له: ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾[3].

ولقد وجه نبينا ﷺ إلى التحلِّي بهذه القيمة النبيلة، حيث يقول: (مَن كانَ معهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا ظَهْرَ له، وَمَن كانَ له فَضْلٌ مِن زَادٍ فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا زَادَ له)[4]، ويقول ﷺ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ الله مِنْ كَرْبِ يَوْمِ

(١) [سورة مريم، الآيات ٢٤-٢٦].
(٢) [سورة القصص، الآية ٢٥].
(٣) [سورة العنكبوت، الآية ٣٣].
(٤) صحيح مسلم، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، حديث رقم ١٧٢٨.

القِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)[1]، ويقول ﷺ: (لاَ يَزَالُ الله فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ)[2]، ويقول ﷺ: (وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ)[3].

وحين استقر نبينا ﷺ في المدينة المنورة، أتاه المهاجرون فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا مَا دَعَوْتُمُ الله لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ)[4].

كما أثنى ﷺ على الأشعريين لتحلِّيهم بهذه الفضيلة حين قال: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)[5].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ، حديث رقم ١٥٦٣.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٥/ ١١٨، حديث رقم ٤٨٠١، ٤٨٠٢.
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابٌ لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ، حديث رقم ٢٤٤٢، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم ٢٥٨٠.
(٤) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، باب منه، حديث رقم ٢٤٨٧.
(٥) سبق تخريجه، ص ٤٢.

فما أحوجنا إلى أن نتحلَّى بخلق المواساة بيننا؛ حتى تشيع روح الأخوة، وتقوى العلاقات في المجتمع، وتسود الألفة والمحبة بينهم.

* * *

الأسرة سكن ومودة

إن الأسرة أساس المجتمع، ونواة بنائه، وبتماسكها واستقرارها يكون تماسك المجتمع واستقراره؛ لذلك عُني الإسلام ببناء الأسرة عناية كبيرة بما يحقق السكن والمودة والرحمة بين جميع أفرادها، حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

والمتأمل في الآية الكريمة يجد أن الله ﷻ بيَّن أن بناء الأسرة من آياته العظيمة، فجعل ﷻ الزواج سكنًا، وذلك لأن الرجل يسكن فيه إلى زوجه، والمرأة تسكن فيه إلى زوجها، فقد جعل الحق ﷻ المودة والرحمة من أُسس بناء الأسرة، فالمودة: صفة تبعث على حسن المعاملة، فيحتمل

(١) [سورة الروم، الآية ٢١].

كل من الزوجين ما قد يَنِدُّ من الآخر، أو تختلف فيه بعض الطبائع، حيث يقول نبينا ﷺ: (لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً؛ إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ مِنهَا آخَرَ)[1]، وبذلك تكون الأسرة قائمة على معاني حسن الخلق، وجميل العشرة، والرأفة، وفي ظلال هذه الأسرة المستقرة المتماسكة تنمو الخلال الطيبة، وتنشأ الذرية الصالحة؛ فتنتشر السعادة في جنبات البيت.

ولتحقيق السكن والمودة في الأسرة ينبغي التحلي بأمور، منها: المعاملة الطيبة، والمعاشرة بالمعروف، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)[3]، ويقول ﷺ: (مَا أَفَادَ عَبْدٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ زَوْجٍ مُؤْمِنَةٍ: إِذَا نَظَرَ إليها سَرَّتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ)[4].

ومنها: إنفاق الزوج على أسرته، بتوفير المأكل والمشرب والملبس، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ

(١) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم ١٤٦٩.
(٢) [سورة النساء، الآية ١٩].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم ١٤٦٨.
(٤) المعجم الأوسط للطبراني، ٢/ ٣٢٥، حديث رقم ٢١١٥.

وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى، وَاليَدُ العُلْيا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ)[3]، ويقول ﷺ: (كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ)[4].

ومنها: حفظ الأسرار بين الزوجين، فكلا الزوجين ستر وسكن للآخر، وإفشاء الأسرار لا يرضاه دين، ولا خلق قويم، حيث يقول نبينا ﷺ: (إِنَّ من أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ وتُفْضِي إليه ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا)[5].

ومنها: المشاركة في تربية الأبناء، وتنشئتهم تنشئة سوية، فلا يقتصر دور الزوجين على رعاية الأبناء بتقديم الطعام والشراب والأمور المادية فقط، بل تعظم هذه الرعاية ببناء القيم والأخلاق في نفوسهم؛ مما يؤهلهم للقيام بدورهم في

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٣٣].
(٢) [سورة الطلاق، الآية ٧].
(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كِتَابُ النَّفَقَاتِ، بَابُ وُجُوبِ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ وَالعِيَالِ، حديث رقم ٥٣٥٥، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العُليا خير من اليد السفلى، حديث رقم ١٠٣٤.
(٤) السُّنن الكبرى للنسائي، كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ، باب إِثْمُ مَنْ ضَيَّعَ عِيَالَهُ،حديث رقم ٩١٣١.
(٥) صحيح مسلم، كتاب النكاح، بَابُ تَحْرِيمِ إِفْشَاءِ سِرِّ الْمَرْأَةِ، حديث رقم ١٤٣٧.

رفعة المجتمع وتقدمه، ويكونون بذلك قرة أعين لآبائهم وأمهاتهم في الدنيا والآخرة، حيث يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[2]، وكما تُعنى الأسرة بالأبناء يجب أن تعنى بحقوق الآباء، حيث يقول ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[3]، فيتحقق السكينة والسعادة لكل أفراد الأسرة.

ومنها: المشاورة بين أفراد الأسرة في أمور الحياة؛ وذلك مما يُشعر كل فرد من أفراد الأسرة بدوره وأهميته، وقد شاور نبينا ﷺ زوجَه السيدةَ أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية، فكان الخير في مشورتها رضي الله عنها[4].

---

(١) [سورة الفرقان، الآية ٧٤].

(٢) صحيح مسلم، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حديث رقم ١٦٣١.

(٣) [سورة الإسراء، الآية ٢٣].

(٤) وهو ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، حديث رقم ٢٧٣١. وفيه: "... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا"، قَالَ: فَوَالله مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا

ولا شك أنَّ لأهل الزوجين دورًا كبيرًا في الحفاظ على كيان الأسرة، واستقرارها، وذلك من خلال دعم أواصر الحب والاحترام والسكن والمودة بينهما، واحترام خصوصياتهما واحتواء الخلافات بإبداء النصح والإرشاد لهما، حيث يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(١)، ويقول ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(٢)، فجدير بنا أن نحقق السكن والمودة في بيوتنا، حتى يسود الحب والتآلف والاستقرار في المجتمع كله.

* * *

مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ الله، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾[سورة الممتحنة، الآية ١٠].. الحديث.

(١) [سورة الإسراء، الآية ٥٣].

(٢) [سورة النساء، الآية ٣٥].

تنظيم النسل ومتغيرات العصر

خلق الله ﷻ الإنسان لغاية كبرى، ورسالة سامية، وطلب منه عمارة الأرض، والإصلاح فيها، حيث يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]، وهذا يتطلب بناء إنسان قوي، قادر على الوفاء بحق دينه ووطنه.

والمتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها أولت إعداد الإنسان عناية خاصة، بداية من تكوين الأسرة مرورًا بمراحل الحمل والولادة والرضاعة؛ فكفلت له حقه في الرضاعة الطبيعية حولين كاملين، حتى ينمو في صحة جيدة، حيث يقول تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[2]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ

(١) [سورة هود، الآية ٦١].
(٢) [سورة الأحقاف، الآية ١٥].

لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[1]، وقد عدَّ الفقهاء إيقاع الحمل مع الإرضاع جَوْرًا على حق الرضيع والجنين، وسمَّوْا لبن الأم التي تجمع بين الحمل والإرضاع لبنَ الغِيلة؛ وكأن كُلًّا من الطفلين قد اقتطع جُزءًا من حق أخيه؛ مما قد يعرض أحدهما أو يعرضهما معًا للضعف.

ومن هنا كانت أهمية تنظيم النسل الذي يعد الآن في واقعنا الراهن ضرورة شرعية، كما أنه داخل بقوة في باب الأخذ بالأسباب، فعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله: (أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)[2].

إن قضية تنظيم النسل لون من ألوان وفاء الوالدين بحقوق أبنائهم، فكل ربّ أسرة مسئول عن أبنائه في التربية القويمة، والتعليم الصحيح، والتنشئة السوية؛ ليكون عضوًا نافعًا لدينه، ووطنه، يقول نبينا ﷺ: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ)[3]، ويقول ابْنُ عُمَرَ ﷺ:

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٣٣].
(٢) سبق تخريجه، ص ٦٢.
(٣) سبق تخريجه، ص ١٢٦.

(أَدِّبِ ابْنَكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ مَاذَا أَدَّبْتَهُ ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ)؟[1].

ولا شك أن الأمم التي تحسن تعليم أبنائها، وإعدادهم، وتأهليهم، أمم تتقدم، وترتقي، فالعبرة ليست بالكثرة العددية؛ وإنما بالصلاح والنفع، فإن القلة التي يُرجى خيرها وبركتها خير من الكثرة التي لا خير فيها، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

والمتدبر في حال الأنبياء يجد أنهم لم يطلبوا من الله تعالى كثرة الأبناء؛ وإنما طلبوا الذرية الصالحة النافعة، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه قائلًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3]، وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يدعو ربه راجيًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[4]، كما جاء في القرآن الكريم طلب عباد الرحمن الذرية الصالحة النافعة المباركة التي تسعد بها

(١) السُّنن الكبرى للبيهقي، أَبْوَابِ صَلاَةِ الإِمَامِ قَاعِدًا بِقِيَامٍ، وَقَائِماً بِقُعُودٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بَابُ مَا عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ مِنْ تَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ أَمْرَ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، حديث رقم ٥٠٩٨.

(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٤٩].

(٣) [الصافات، الآية ١٠٠].

(٤) [سورة آل عمران، الآية ٣٨].

النفوس، وتقر بها الأعين، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

ومعلوم أن القلة القوية النافعة خير من الكثرة الضعيفة الهزيلة، يقول نبينا ﷺ: (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا)، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: (أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ)، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)[2].

إن الأخذ بأسباب العلم في عملية تنظيم النسل يعد ضرورة شرعية ووطنية، وله أثره في رقي المجتمع، وتقدمه، والمتدبر في قوله ﷺ: (تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ)[3]، يجد أن المباهاة لا تكون بالكثرة الضعيفة التي تعيش عالة على غيرها؛ إنما تكون بالكثرة القوية،

(١) [سورة الفرقان، الآية ٧٤].
(٢) مسند أحمد، ٣٧/ ٨٢، حديث رقم ٢٢٣٩٧.
(٣) سُنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في تزويج الأبكار، حديث رقم ٢٠٥٠.

الصالحة، النافعة، التي بيَّنها نبينا ﷺ في قوله: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِي خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيف...)[1].

وهذا ما بيَّنه الصحابة الكرام - وهم خير الناس اقتداءً برسول الله ﷺ فقد خطب سيدنا عَمْرو بن الْعَاصِ رضي الله عنه قائلًا: "يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، إِيَّايَ وَخِلَالًا أَرْبَعًا، فَإِنَّهُنَّ يَدْعُونَ إِلَى النَّصَبِ بَعْدَ الرَّاحَةِ، وَإِلَى الضِّيقِ بَعْدَ السَّعَةِ، وَإِلَى الْمَذَلَّةِ بَعْدَ الْعِزَّةِ، إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْعِيَالِ، وَإِخْفَاضَ الْحَالِ، وَالتَّضْيِيعَ لِلْمَالِ، وَالْقِيلَ بَعْدَ الْقَالِ، فِي غَيْرِ دَرَكٍ وَلَا نَوَالٍ"[2]، عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، فَقَالَ: (جَهْدُ الْبَلَاءِ كَثْرَةُ الْعِيَالِ مع قلة الشيء)[3]، فما أحوجنا إلى الفهم الصحيح لديننا، وواقعنا، وأن نجتهد فنحسن إلى أبنائنا، ونعمل على حسن تربيتهم، وتعليمهم، وإعدادهم؛ ليسهموا في بناء الحضارة، ونهضة البلاد بفكرٍ واعٍ، وعقلٍ مستنيرٍ، يقدِّر معنى المسئولية، ويقوم بها على أكمل وجه، وفي أفضل صورة.

(١) صحيح مسلم كتاب الْقَدَرِ، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لله، حديث رقم ٢٦٦٤.
(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي، ٨/ ٢٢٨، والتمهيد لابن عبد البر، ٢١/ ٢٩٣.
(٣) جزء فيه ما انتقى ابن مردويه على الطبراني، ص: ٣٦٢، حديث رقم ١٧٣.

النظافة سلوك حضاري وإنساني

إن الدين الإسلامي قد جاء لبناء مجتمع إنساني مثالي متكامل في جميع النواحي الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأيضًا الصحية، صيانة لحياة المسلمين والإنسانية جمعاء.

لقد اهتم الإسلام بصحة الإنسان اهتمامًا عظيمًا فحثَّهُ على النظافة، وأمره بها، لأنها من أسباب صحة الأبدان، فأخبرنا ﷺ أنه أنزل من السماء ماءً طهورًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[1]، هذا الماء الطهور هو نظافةٌ للأبدان وسلامةٌ لها، كما أخبرنا تبارك وتعالى أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ

(١) [سورة الفرقان، الآية ٤٨].

﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]، وعَنْ سعد بن أبي وقاص ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الله طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا - أُرَاهُ قَالَ - أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ)[2].

ولما كانت النظافة ضرورية في حياة الإنسان، لازمة له، جعلها الإسلام نصف الإيمان، فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِع نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)[3].

واهتمام الإسلام بالنظافة لا يدانيه اهتمام في الشرائع الأخرى، فلم يعد ينظر إليها على أنها مجرد سلوك إنساني مرغوب فيه أو متعارف عليه اجتماعيًّا يحظى صاحبه

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٢٢].
(٢) سُنن الترمذي، أبواب الأدب، باب في غَسْلِ الثوب وفي الخُلْقانِ، حديث رقم ٢٧٩٩.
(٣) صحيح مسلم، كتب الطهارة، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حديث رقم ٢٢٣.

بالقبول الاجتماعي فقط، بل جعلها الإسلام قضيةً إيمانيةً تتصل بالعقيدة، يُثاب فاعلها ويأثم تاركها.

ومن ثَمَّ فإن الإسلام يأخذ بيد أتباعه إلى العيش في بيئة طاهرة نقية، ويدعوهم إلى الحفاظ على البيئة التي يعيش فيها الإنسان، إيمانًا منه بما للبيئة من أثر خطير على صحة الإنسان ومعاشه وأخلاقه، وهو بذلك قد سبق كل المنظمات العالمية في الدعوة إلى الاهتمام بالبيئة والحفاظ عليها، فأرسى مجموعة من المبادئ التي تعتبر من أهم الإجراءات الوقائية للحفاظ على البيئة البشرية، ويتمثل ذلك في عنايته بطهارة الإنسان ونظافته من خلال الدعوة إلى تنظيف الجسد والثياب، فشرع الوضوء للصلوات الخمس في اليوم والليلة، وأوجب الغسل من الجنابة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ

وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[2]، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: (أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ)[3].

وقد حثَّ النبي ﷺ على استخدام السواك وتطهير الفم من بقايا الطعام، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قَالَ: (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي- أَوْ عَلى النَّاسِ- لَأَمَرتُهمْ بِالسِّواكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)[4].

والذي لا شك فيه أن كثيرًا من الأوبئة إنما تنتقل نتيجة عدم العناية بالنظافة، وأن إجراءات وزارة الصحة الوقائية لأكثر الأمراض تدعو إلى غسل اليدين قبل الأكل وبعده،

(١) [سورة المائدة، الآية ٦].
(٢) [سورة المدثر، الآيات١- ٤].
(٣) سُنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في غَسْلِ الثوب وفي الخُلْقانِ، حديث رقم ٤٠٦٢.
(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ السِّوَاكِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حديث رقم ٨٨٧.

وإلى التهوية الجيدة للمكان، وإلى غسل الفاكهة والخضر غسلًا جيدًا، وإلى حسن الطهي ونظافة أدواته، وكل هذا ينبثق من روح الإسلام وحثه على النظافة.

ففي الوقت الذي نجد فيه من ينظف ويجمل الشوارع والمجتمع نجد من يتعمد أن يلقي بالقمامة وبمخلفات الحفر والبناء في الطرقات العامة دون حرمة أو مراعاة لحقوق الطريق، فيجب الحفاظ على الطريق العام الذي يمر الناس فيه، وعلى نظافته وألّا يلقي الناس فيه أذي؛ بل عليهم أن يمنعوا الأذى، ففي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ) قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟، قَالَ: (غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)[1].

* * *

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، حديث رقم ٢٤٦٥، وصحيح مسلم، كتاب اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجُلُوسِ فِي الطُّرُقَاتِ وَإِعْطَاءِ الطَّرِيقِ حَقَّهُ، حديث رقم ٢١٢١. واللفظ له.

التكافل المجتمعي
(حقوق الوالدين والمسنين والضعفاء أنموذجًا)

إن رسالة الإسلام رسالة إنسانية، وبر، ورحمة، ورُقِيٌّ، تهدف إلى أن يحيا الناس حياة كريمة في ظل مجتمع متعاون متكافل على أساسٍ من المواساة والشعور بالآخرين، والبُعْد عن مظاهر الأنانية والأثرة والجشع، حيث يقول نبينا ﷺ: (لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ)[1]، وفي رواية: (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ)[2]، ويقول ﷺ: (إِنَّ لله عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعِماً يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ إلى غَيْرِهِمْ)[3].

وإذا كانت تلك القيم الدينية والإنسانية والمجتمعية مطلوبة بين الناس جميعًا؛ فإنها تكون أكثر أهمية وثوابًا

(١) المستدرك للحاكم، كتاب البيوع، حديث رقم ٢١٦٦.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١/ ٢٥٩، حديث رقم ٧٥١.
(٣) المعجم الأوسط للطبراني، ٨/ ١٨٦، حديث رقم ٨٣٥٠.

وقت الشدائد والأزمات، وأكثر تأكدًا تجاه الضعفاء والأولى بالرعاية، وإذا كانت الصدقة على الفقير صدقة فإنها على ذي الرحم صدقة وصلة.

أما حق الوالدين وبرهما فثوابه لا نظير له، فقد أمرنا الحق ﷻ بتمام البر والإكرام لهما، حيث يقول ﷻ في كتابه العزيز: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1].

ولا شك أنَّ بر الوالدين دأب أهل الفطر السوية، وهو مما اتفقت عليه الشرائع السماوية، كما أنه خلق الأنبياء والمرسلين، فهذا نبي الله يحيى عليه السلام يقول الله تعالى في حقه: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[2]، ويقول تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا

(١) [سورة الإسراء، الآيتان ٢٣، ٢٤].
(٢) [سورة مريم، الآية ١٤].

شَقِيًّا ﴾[1]، وقد زَارَ نبينا ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَن حَوْلَه)[2]؛ برًّا بها وشوقًا إليها وللوالدين على الأبناء حقوق عديدة، منها: كمال التوقير والاحترام والطاعة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾[3].

وقد رأى سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: لا تسمِّه بِاسْمِهِ، ولَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ)[4].

ومنها: المبالغة في الإحسان إليهما عند الكِبَر، وهذا من رد الجميل لعطائهما غير المحدود، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[5].

---

(١) [سورة مريم، الآية ٣٢].
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، بَابُ اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، حديث رقم ٩٧٦.
(٣) [سورة الإسراء، الآية ٢٤].
(٤) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ لاَ يُسَمِّي الرَّجُلُ أَبَاهُ، وَلاَ يَجْلِسُ قَبْلَهُ، حديث رقم ٤٤.
(٥) [سورة الإسراء، الآيتان ٢٣، ٢٤].

فالموفَّق هو من استجلب دعوة أبويه الصالحة بالإحسان إليهما، فتتحقق سعادته في الدنيا والآخرة، حيث يقول نبينا ﷺ: (ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ)[1]، وفي رواية: (وَدَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ)[2]، فدعوة الوالد لولده وعلى ولده لا تُرد ولا تموت، أما مَن لا خير فيه لأبويه فلا خير فيه أصلًا، لا يعاشَر، ولا يصاحَب، ولا يؤمَن غدرُه.

إن الشريعة الغراء كما أكدت على بر الوالدين، فقد أوصت بإكرام المسنين والضعفاء، وتوفيتهم حقوقهم من التوقير والاحترام والرعاية، حتى جعلت إكرامهم من تعظيم الخالق ﷻ، حيث يقول نبينا ﷺ: (إِنَّ مِنْ إِجْلال الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ)[3]، فالمُسِنُّون هم أهل للتقديم والتكبير والتبجيل، حيث يقول نبينا ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)[4]، ويقول ﷺ: (يُسَلِّمُ

(١) سُنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي دَعْوَةِ الوَالِدَيْنِ، حديث رقم ١٩٠٥.
(٢) سُنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، بَابُ دَعْوَةِ الْوَالِدِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، حديث رقم ٣٨٦٢.
(٣) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ إِجْلَالِ الْكَبِيرِ، حديث رقم ٣٥٧، وسُنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، حديث رقم٤٨٤٣.
(٤) سُنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الصِّبْيَانِ، حديث رقم ١٩١٩.

الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ)[1]، ويقول ﷺ لمن أراد أن يتقدم في الكلام قبل رجلٍ كبير السن: (كَبِّرِ الكُبْرَ)[2]، أي: اقدر التقدُّم في العمر قدرَه، ولا تتكلم قبل الكبير.

ولقد بلغ من رقيّ هذا الدين أنه لم يفرق بين المسنين والضعفاء باختلاف دياناتهم أو أعراقهم في الإكرام والإحسان وطيب المعاملة؛ فعندما مَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ رضي الله عنه بِشَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، يَسْأَلُ عَلَى أَبْوَابِ النَّاسِ، فَقَالَ: "مَا أَنْصَفْنَاكَ إِنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ، ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُصْلِحُهُ"[3]، فما أحوجنا إلى ترسيخ قيم التكافل والاحترام والاعتراف بالفضل، حتى تتحقق الألفة والمودة في المجتمع كله.

* * *

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ تَسْلِيمِ القَلِيلِ عَلَى الكَثِيرِ، حديث رقم ٦٢٣١.
(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الأدب، بَابُ إِكْرَامِ الكَبِيرِ، وَيَبْدَأُ الْأَكْبَرُ بِالكَلَامِ وَالسُّؤَالِ، حديث رقم ٦١٤٢.
(٣) الأموال لابن زنجويه، ص١٦٩.

العـمـل واجب

العمل ليس نافلة ولا رفاهية، العمل واجب، العمل ضرورة، العمل حياة، العمل عز وشرف، وقد بين لنا ديننُا الحنيفُ شرفَ العملِ وأهميتَهُ، فهو سبيلُ الرقي والتقدم، والمتأمل في القرآن الكريم يجد فيه دعوة صريحة للعمل الذي تتحقق به عمارة الكون ومصالح البلاد والعباد والخير للدنيا وما فيها، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1].

إن العمل ضرورة لإعمار الكون وصيانة الحياة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2]، ويقول ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟

(١) [سورة الملك، الآية ١٥].
(٢) [سورة هود، الآية ٦١].

فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، فلأهمية العمل جاء الأمرُ به بعد الأمر بالصلاة مباشرة، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: (اللهمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[2].

كما أن السنة النبوية المطهرة زاخرةٌ بالدعوة إلى العمل والجدِّ فيه، باعتباره شرفًا يحفظ للإنسان كرامته، حيث يقول نبينا ﷺ: (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)[3]، ويقول سيدنا عمر ﷺ: (لَا يَقْعُدُ أحدُكُمْ عن طلب الرزق، يقول: اللهمَّ ارْزُقْنِي؛ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تمطر ذهبًا ولا فضة)[4].

ولشرف العمل وأهميته كان الأنبياء عليهم السلام يعملون بأيديهم، حيث يقول نبينا ﷺ: (كَانَ دَاوُدُ عليه السلام لا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ

(١) [سورة الجمعة، الآية ١٠].
(٢) تفسير ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، سورة الجمعة، ١٠/ ٣٣٥٦.
(٣) صحيح البخَارِي، كتاب المساقاة، بَابُ بَيْعِ الحَطَبِ وَالكَلإِ، حديث رقم ٢٣٧٤.
(٤) إحياء علوم الدين، ٢/ ٦٢.

يَدِهِ)[1]، ويقول: (كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا)[2]، وكان نبينا ﷺ يعمل بنفسه، ويقوم على خدمة أهله، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ)[3]، كما دعانا ﷺ إلى العمل حتى في آخر لحظات حياتنا، حيث يقول نبينا ﷺ: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ)[4]، وقال لقمان الحكيم لابنه: "يا بُنَيَّ اِستَغنِ بِالكَسبِ الحَلال عَنِ الفَقرِ، فَإِنَّهُ مَا افتَقَرَ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا أصابه ثلاث خِصال: رِقَّةٌ في دينِهِ، وضَعفٌ في عَقلِهِ، وذَهابُ مُروءَتِهِ، وأعظَمُ مِن هذِهِ الثَّلاثِ: اِستِخفافُ النّاسِ بِهِ"[5].

ومن شرف العمل أن الشريعة الإسلامية عدَّتْ سعي الإنسان على كسب الحلال لمعاشه ومعاش من يعول، سعيًا في سبيل الله، فقد ربط القرآن الكريم بين العمل وبين التضحية في سبيل الحق، حيث يقول ﷻ: ﴿وَءَاخَرُونَ

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ، حديث رقم ٢٠٧٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل زكريا عليه السلام، حديث رقم ٢٣٧٩.
(٣) مسند أحمد، ٤١/ ٣٩٠، حديث رقم ٢٤٩٠٣.
(٤) مسند أحمد، ٢٠/ ٢٩٦، حديث رقم ١٢٩٨١.
(٥) إحياء علوم الدين، ٢/ ٦٢.

﴿يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١]، وحينما مرَّ رجلٌ علَىَ نبينا ﷺ فرَأى أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالوا: يَا رَسُولَ الله لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ الله! فَقَال رَسُولُ الله ﷺ: (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ)[٢].

إن الإسلام لم يطلب منا العمل فحسب؛ بل حثَّنا على إتقانه ابتغاء مرضاة الله ﷻ، ولقد وعد ربنا ﷻ من يتقن عمله بالثواب العظيم، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾[٣]، كما أن إتقان العمل من الأمور التي يحبها الله ﷻ، حيث يقول نبينا ﷺ: (إِنَّ الله يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ)[٤].

(١) [سورة المزمل، الآية ٢٠].
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٩/ ١٢٩، حديث رقم ٢٨٢.
(٣) [سورة الكهف، الآية ٣٠].
(٤) مسند أبي يعلى، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم ٤٣٨٦.

فأمانة العمل مسئوليَّة في عنق كل عامل أو موظف أو مسئول، يراقب فيها ربه ﷻ، حيث يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[2]، وعندما سئل نبينا ﷺ عن الإحسان، قال: (الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[3].

* * *

(١) [سورة النساء، الآية ١].
(٢) [سورة يونس، الآية ٦١].
(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان، الآية ٣٤]، حديث رقم ٤٧٧٧.

التاجر الأمين

إن الإسلام دين يدعو إلى الكسب والعمل، ويُحذِّرُ من البطالة والخمول والكسل، والعمل هو السبيل إلى إعمار الأرضِ، وتقدم الأوطانِ، وبناء الحضاراتِ، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]، وصور الكسب الحلال كثيرة متنوعة، ومن أفضلها التجارة، حيث سمى الحق ﷻ أرباحَها في القرآن (فضلَ الله)، وقرن ﷻ ذِكرَ الضاربين في الأرض للتجارة بالمجاهدين في سبيل الله؛ حيث يقول ﷻ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقد سُئل نبينا ﷺ أيُّ الكسبِ أطيَبُ؟ فقال: (عملُ الرَّجلِ بيدِه، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ)[3].

(١) [سورة هود، الآية ٦١].
(٢) [سورة المزمل، الآية ٢٠].
(٣) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٠٢، حديث رقم ١٧٢٦٥.

ويكفي التجار شرفًا أن نبينا ﷺ تاجر مع عمه أبي طالب؛ ومع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فكان ﷺ خير مثال للتاجر الأمين، حيث وصفه السَّائب بن أبي السَّائب رضي الله عنه بقوله: (كُنْتَ شَرِيكِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكُنْتَ خَيْرَ شَرِيكٍ، لَا تُدَارِينِي، وَلَا تُمَارِينِي)[1]، فلم يكن ﷺ يُخفِي عيبًا في سلعة، ولا يجادِل بالباطل.

وللتاجر الأمين صفات حميدة، وخصال شريفة ينبغي أن يتحلى بها، منها: الصدق في البيع والشراء، فالصدقُ يورث البركة في التجارة، حيث يقول نبينا ﷺ: (البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)[2].

أما التاجر الكذوب الذي يبيع آخرته بدنياه فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة، فلا بركة في ماله، ولا نفع في كسبه، ولا يُقبل منه عملُه، حيث يقول ﷺ: (اليَمِينُ الكاذِبَةُ

(١) سُنن ابن ماجه، كِتَابُ التِّجَارَاتِ، بَابُ الشِّرْكَةِ وَالْمُضَارَبَةِ، حديث رقم ٢٢٨٧.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ إِذَا بَيَّنَ البَيِّعَانِ وَلَمْ يَكْتُمَا وَنَصَحَا، حديث رقم ٢٠٧٩، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب البيوع، بَابُ ثُبُوتِ خِيَارِ الْمَجْلِسِ لِلْمُتَبَايِعَيْنِ، حديث رقم ١٥٣١.

مُنفِّقَةٌ للسلعةِ، مُمحِقةٌ للبركةِ)[1]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ، وَمَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ)[2].

ومن صفات التاجر الأمين: تمام الأمانة والبيان في البيع والشراء، فالتاجر الأمين لا يغش ولا يخدع، حيث يقول نبينا ﷺ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلا بَيَّنَهُ لَهُ)[3]، وقد مَرَّ نبينا ﷺ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟! قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[4].

---

(١) مسند البزار، ١٥/ ٧٦، حديث رقم ٨٣١٣. وعند البخاري بلفظ: (الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ). صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابٌ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٧٦]، حديث رقم ٢٠٨٧، وعند مسلم بلفظ: (الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ، حديث رقم ١٦٠٦.

(٢) السُّنن الكبرى للبيهقي، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَدَّى فَرْضَ الله فِي الزَّكَاةِ فَلَيْسَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَتَطَوَّعَ سِوَى مَا مَضَى فِي الْبَابِ قَبْلَهُ، حديث رقم ٧٢٤٠.

(٣) سُنن ابن ماجه، كتاب التجارات، بَابُ مَنْ بَاعَ عَيْبًا فَلْيُبَيِّنْهُ، حديث رقم ٢٢٤٦.

(٤) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، حديث رقم ١٠٢.

ومنها: السماحة في البيع والشراء، والتحلي بمكارم الأخلاق، وحسن المعاملة، حيث يقول نبينا ﷺ: (رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)[1]، ويقول ﷺ: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أو بمن تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ)[2].

إن من صفات التاجر الأمين: الوطنية الصادقة، وهي ليست أقوالًا أو مجرد شعارات تُرفَع، إنما هي عطاء وتضحيات، فالتاجر الوطني الحكيم ينطلق في معاملاته من التزام ديني وشعور إنساني، فلا يبيح لنفسه أن تكثر ثروته في أوقات الأزمات على حساب الفقراء والمحتاجين؛ لذلك فهو يبتعد عن كل صور الجشع والغش والاحتكار والاستغلال، فإذا كانت هذه الأدواء مرفوضة مذمومة خبيثة في كل وقت فإنها في وقت الأزمات أشد جرمًا وإثمًا، حيث يقول ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ، وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، حديث رقم ٢٠٧٦.

(٢) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، باب منه، حديث رقم ٢٤٨٨.

ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ)[2]، ويقول ﷺ: (مَن دخلَ في شيءٍ من أسعارِ المسلمينَ ليُغْلِيَهُ علَيهِم فإنَّ حقًّا علَى اللهِ تبارَكَ وتعالَى أن يُقْعِدَهُ بعِظَمٍ منَ النَّارِ يومَ القيامةِ)[3].

إنَّ التاجر الصدوق الأمين إذا خفَّض هامش ربحه إلى أدنى درجة ممكنة في وقت الأزمات، فإن ما يخفِّضه صدقة له بنيَّته، حيث يقول نبينا ﷺ: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)[4]؛ ذلك لأن من يقدم الآخرة على العاجلة، ولا يحتكر ولا يغش، ويُراعي أحوال الناس، حُقَّ له أن يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، فالتاجر الصادق الأمين يرفعه صدقه وأمانته وحرصه على المجتمع ومراعاته لظروف الناس بقدر ما ترفعه صلاته وصدقته وعبادته لله تعالى.

(١) [سورة المطففين، الآيات ١-٣].
(٢) سُنن ابن ماجه، كتاب التجارات، بَابُ الْحُكْرَةِ وَالْجَلَبِ، حديث رقم ٢١٥٣.
(٣) مسند أحمد، ٣٣/ ٤٢٥، حديث رقم ٢٠٣١٣.
(٤) سُنن الترمذي، أبواب البيوع، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُمْ، حديث رقم ١٢٠٩.

الصانع المتقن

إن للصناعة في الإسلام شأنًا عظيمًا ومكانةً عاليةً، فهي أساس نهضة الأمم وتطورها، وبازدهارها تتوفر فرص العمل، ويتحقق التقدم الاقتصادي، والرقي المعيشي؛ والمتأمل في القرآن الكريم يجدُ إشاراتٍ واضحةً إلى العديد من الصناعات؛ تأكيدًا على فضلها وأهميتها، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾[3]، ويقول تعالى:

(١) [سورة الحديد، الآية ٢٥].
(٢) [سورة الأعراف، الآية ٢٦].
(٣) [سورة النحل، الآية ٨١].

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[2].

ولشرف الصناعة كان صفوة الخلق من أنبياء الله ورسله عليهم السلام من أصحاب الصنائع والحرف، وكانوا مضرب المثل في المهارة والإتقان، حيث كان سيدنا نوح عليه السلام يعمل في صناعة السفن، يقول الحق سبحانه: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[3]، وكان سيدنا داود عليه السلام حدَّادًا، يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[4]، وفي سيدنا زكريا عليه السلام يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: (كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا)[5].

(١) [سورة سبأ، الآية ١٣].
(٢) [سورة النحل، الآية ٨٠].
(٣) [سورة هود، الآية ٣٧].
(٤) [سورة الأنبياء، الآية ٨٠].
(٥) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل زكرياء عليه السلام، حديث رقم ٢٣٧٩.

والإتقان والجـودة والتميز من أهم الصفـات التي يجب أن يتحـلى بها الصانع؛ ولقد لفت الحق ﷻ أنظارنا إلى الإتقان، حيث خلق ﷻ كل شيء بإتقان مُعجز، يقول تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، وأوجب علينا ﷻ الإحسان في كل شيء، يقول ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)[3].

ولقد عَرَف عَهْدُ نَبِيِّنَا ﷺ عددًا من المهن والحرف والصناعات الذي سجل جانبًا منها أبو الحسن الخزاعي في كتابه: (تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية)، فذكر فيه: من كان يعلم الطب في عهد الرسول ﷺ، وذكر النساجين، والخياطين، والنجارين، والحدادين، والصواغين، والدباغين، والخوَّاصين، والبنائين، والتجار، وقد ضمن الكتاب فصلين كاملين، أحدهما للحرفة والآخر للصناعة.

(١) [سورة النمل، الآية ٨٨].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٩٥].
(٣) صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ، حديث رقم ١٩٥٥.

والصانع المتقن يدفعه إيمانه بالله ﷻ ومراقبته له إلى تجويد عمله، والتميز فيه، حيث يقول ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1]، كما أنه يمتثل أوامر الله ﷻ، حيث يقول تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)[3].

ومن إتقان الصانع سرعةُ إنجازه عملَه في موعده، وهذا شأن الصُّنَّاع في المجتمعات المتحضرة، كما أن وفاء الصانع بعمله في الموعد المحدد له صفة كريمة تدل على شرف النفس وقوة العزيمة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[4]، وقد أمر الله ﷻ بها، وامتدح بها

(١) [سورة يونس، الآية ٦١].
(٢) [سورة التوبة، الآية ١٠٥].
(٣) مسند أبي يعلى، ٧/ ٣٤٩، حديث رقم ٤٣٨٦.
(٤) [سورة الإسراء، الآية ٣٤].

عباده المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[2].

إن الصانع المتقن كما أنه ينطلق من دافع ديني فإنه ينطلق أيضًا من دافع وطني، فإنما يحمله حبه لوطنه، وإيمانه بدوره في رقيه وتقدمه على إحسان عمله والجودة والتميز فيه، حيث إن وطننا الغالي مصر في مرحلة دقيقة من تاريخه، وهذا يقتضي منا جميعًا أن نعمل مجدين مخلصين لنهضة الوطن وتقدمه، فالجميع بعملهم الجاد المُتقَن في طاعةٍ لله ﷻ ولا ينهض الوطن إلا بالجميع.

إنَّ الناس لن يحترموا ديننا ما لم نتفوق في أمور دنيانا، فإن تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا ودنيانا، وإن الاقتصاد القوي يعني دولة عزيزة شامخة ذات مكانة وذات كفاية ذاتية، وهو ما تسير عليه- بفضل الله- مصرنا العزيزة في جمهوريتنا الجديدة.

(١) [سورة المائدة، الآية ١].
(٢) [سورة المعارج، الآية ٣٢].

الـزارع المجـد

إن الزراعـة مـن أهـم الركائـز الاقتصاديـة لبنـاء الـدول واسـتقرارها؛ فهـي صـمام الأمـان لتوفـير الغـذاء، وتحقيـق الاكتفـاء، والمتأمـل في القـرآن الكريـم يجـد أنـه ﷻ ذكـر الزراعـة في أكثـر مـن موضـع؛ تنبيهًـا عـلى أهميتهـا، حيـث يقـول الحـق ﷻ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ﴾[1]، ويقـول ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾[2].

وقد جعل الشرعُ الحنيفُ الزراعةَ مِن قَبيل العبادة التي تحقق الثواب لصاحبها، حيث يقول نبينا ﷺ: (مَا مِن مُسلم يَغرِسُ غَرْسًا أو يَزرَعُ زَرْعًا فيأكُلُ مِنه طَيرٌ أو إنسَانٌ أو بهيْمَةٌ

(١) [سورة الرعد، الآية ٤].
(٢) [سورة السجدة، الآية ٢٧].

إلا كان لهُ بهِ صَدقَةٌ)[1]، كما أرشدنا نبينا ﷺ إلى المداومة على الزراعة إلى آخر لحظة في الحياة، حيث يقول ﷺ: (إِنْ قَامَتِ الساعةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَها فليغرِسْها)[2].

ولشرف الزراعة جعلها الإسلام من الصدقات الجارية التي يمتد ثوابها بعد موت صاحبها، يقول ﷺ: (سبعٌ يجري للعبدِ أجرُهنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِه بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ علَّم عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِه)[3]؛ ذلك أن الزارع شارك في عمارة الحياة، ولم يعش لنفسه فقط، إنما عاش مخلصًا، باذلًا الخير لمجتمعه ولوطنه.

وللزارع المُجد منزلةٌ عظيمةٌ ومكانةٌ ساميةٌ؛ فهو يسهم في قوة الوطن وتحقيق استقراره، وتحقيق فرص عمل لمواطنيه؛ فالأمة التي لا تملك غذاءها لا تملك قرارها،

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المزارعة، بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ، حديث رقم ٢٣٢٠، وصحيح مسلم، كِتَابُ المُسَاقَاةِ، بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ، حديث رقم ١٥٥٣.

(٢) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ اصْطِنَاعِ المَالِ، حديث رقم ٤٧٩.

(٣) مسند البزار، ١٣/ ٤٨٣، حديث رقم ٧٢٨٩.

والـزارع بجـده في زراعتـه يحقـق الفَـلَاح لنفسـه ولوطنه، في همَّـة عاليـة، وتضحيـة صادقـة، ممتثلاً قول الحـق ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[1]، وملتمسًـا دعـوة نبينـا ﷺ، حيـث يقـول ﷺ: (اللهـمَّ بَـارِكْ لِأُمَّتِـي فِي بُكُورِهَـا)[2].

والـزارع المجـد لا يعرف الارتجـال ولا العشـوائية، إنما يعمـل بتخطيـط واعٍ، وأخـذٍ بأسـباب العلـم والعمـل، والمتأمـل في قصـة سـيدنا يوسـف عليه السلام في القـرآن الكريـم يَلْمَـحُ تخطيطًـا محكمًا للاقتصـاد الزراعـي أسسـه نبـي الله الكريـم يوسـف عليه السلام، بعدمـا علـم مـن خـلال الرؤيـا الصادقـة بأزمـة غذائيـة سـتصيب المنطقـة كلهـا، فاقـترح خطـة إصـلاح ونفَّذهـا، فـكان فيهـا الخـير والبركـة عـلى مـصر ومـا حولهـا، حيـث يقـول ﷻ: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ

(١) [سورة التوبة، الآية ١٠٥].
(٢) سُنن أبي داود، كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الِابْتِكَارِ فِي السَّفَرِ، حديث رقم ٢٦٠٦.

﴿لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1].

كما أن الزارع المجد يستشير أهل الخبرة والعلم والاختصاص في زراعته، ليقدم منتجًا عالي الجودة ينفع وطنه ومجتمعه، ممتثلًا قول الحق ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، ومقتديًا بنبينا ﷺ في حديث تأبير النخل، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: (لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ) قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ، فَقَالَ: (مَا لِنَخْلِكُمْ؟) قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)[3].

إن الزارع المجد تحمله وطنيته على أداء دوره في مقاومة محاولات أعمال التجريف والتبوير للأراضي الزراعية والبناء عليها، والتي تؤدي إلى نقص المحاصيل، وزيادة الاستيراد؛ مما يشكل عبئًا على الدولة، وهذا ضررٌ منهيٌ

(١) [سورة يوسف، الآيات ٤٧-٤٩].
(٢) [سورة النحل، الآية ٤٣].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، حديث رقم ٢٣٦٣.

عنه، حيث يقول نبينا ﷺ: (لا ضَرَرَ وَلا ضِرَار)[1]، وهو ينطلق من وطنيته في تسويق محصوله بعد حصاده، فهو لا يعرف استغلالًا لأزمات الناس ولا متاجرةً بمعاناتهم، وقد حرم الإسلام كل صور الاحتكار والتضييق على الناس، حيث يقول نبينا ﷺ: (لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ)[2]، ويقول ﷺ: (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أربعين لَيْلَة فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الله تعالَى، وبرِئ الله تعالَى مِنْه)[3].

* * *

(١) سُنن ابن ماجه، كِتَابُ الْأَحْكَام، بَابُ مَنْ بَنَى فِي حَقِّهِ مَا يَضرُّ بِجَارِهِ، حديث رقم ٢٣٤١.
(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ تَحْرِيمِ الِاحْتِكَارِ فِي الْأَقْوَاتِ، حديث رقم ١٦٠٥.
(٣) مسند أحمد، ٨/ ٤٨١، حديث رقم ٤٨٨٠.

أهمية الاستثمار في حياتنا

لقد حث الشرع الحنيف على استثمار المال وتنميته؛ لتحقيق تقدم الأوطان ورقيها، من خلال الاكتفاء الذاتي، والاستقلال الاقتصادي، وتحقيق التنمية المستدامة؛ والمتأمل في سيرة نبينا ﷺ يجد أنه عندما قدم المدينة المنورة أنشأ سوق "المناخة"، ليكون سوقًا جديدًا قائمًا على مبادئ الصدق، والأمانة؛ والسماحة بيعًا وشراءً، ومجالًا حيويًّا لتسويق ما ينتجه أهل المدينة؛ مما كان له أثر عظيم في استقرار (المدينة المنورة) اقتصاديًّا، وتقدمها حضاريًّا.

وللاستثمار دور مهم في تفعيل الطاقات البشرية، وتوفير فرص العمل للشباب، وتدريب الكوادر المهنية؛ وذلك باب عظيم من أبواب تفريج الكربات، حيث يقول نبينا ﷺ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ الله

عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)[1]، ويقول ﷺ: (إِنَّ لله عَبَّادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ)[2].

وللمستثمر الوطني صفات ينبغي التحلي بها، منها: إيثاره المصلحة الوطنية العامة على المصلحة الشخصية، والإسهام في بناء الوطن من خلال التحرك في ضوء أولوياته، زراعية كانت أم صناعية، وتقديم ما يحتاجه الوطن منها ولو كان أقل ربحًا، وهو بتلك الروح الوطنية يرجو أجر النفع العام عند الله ﷻ، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، ويقول ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4].

(١) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم ٢٦٩٩.
(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٣/ ٢٠٦، حديث رقم ١٣٩٢٥.
(٣) [سورة الحج، الآية ٧٧].
(٤) [سورة الرعد، الآية ١٧].

ومنها: تشجيعه البحث العلمي بجميع مجالاته الإنسانية، والعلمية، والطبية، وغيرها، وبخاصة ما يتعلق بمجال استثماره، وهو بذلك يؤدي دوره في تنمية الفرد والمجتمع، وبناء الشخصية الحضارية، فالإسلام دين علم وفكر وثقافة، يحترم العقل البشري، ويحث على التفوق في العلوم، واكتساب الخبرات والمعارف الدينية والدنيوية؛ حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[2].

وعلى المستثمر الوطني دور اجتماعيّ تجاه وطنه، من خلال المساهمة في حل المشكلات التي تواجه المجتمع، وقد

(١) [سورة العلق، الآية ١].
(٢) سبق تخريجه، ص ١١٦.

كان نبينا ﷺ يحث الأغنياء من الصحابة ﷺ على تحقيق ذلك الدور الاجتماعي، وقد تسابق الصحابة ﷺ في هذا الميدان، فهذا سيدنا عثمان بن عفان ﷺ يشتري بئر رومة، ويجهز جيش العُسرة للدفاع عن الدين والوطن، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ)، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: (مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ)[1]، حتى قال له نبينا ﷺ: (مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ)[2]، ويقول طلحة بن عبد الله بن عوف: "كان أهل المدينة عيالًا على عبد الرحمن بن عوف ﷺ، ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينه، ويصل ثلثًا"[3].

إنَّ المستثمر الوطني الغيور على مجتمعه وبلده يستحق منَّا الدعم الكامل، والتشجيع والمساندة؛ حيث يقول نبينا ﷺ: (لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ)[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بِئْرًا، وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ، حديث رقم ٢٧٧٨، ولفظه: (أَنَّ عُثْمَانَ ﷺ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ، وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ).

(٢) سُنن الترمذي، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ، باب منه، حديث رقم ٣٧٠١.

(٣) كتاب الأربعين المغنية بعيون فنونها عن المعين لصلاح الدين أبي سعيد خليل ابن الأمير بدر الدين العلائي الشافعي، ص ٤٠٥.

(٤) سُنن أبي داود، كتاب الأدب، بَابٌ فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ، حديث رقم ٤٨١١.

فضـلًا عـلى أن المسـتثمر إذا قصـد وجـه الله ﷻ وخدمة وطنـه، فإنـه يكـون عـلى ثغـر عظيـم مـن ثغـور الديـن والوطـن، يقـوم فيـه بتأدية مـا يتطلبـه وطنه، فـإذا تعاونت اتحـادات المسـتثمرين في ذلـك قامـت مجتمعـةً بحاجـات أوطانهـا، وسـدت كفاياتهـا في مختلـف المجـالات، وذلـك أمـر ثوابـه عظيـم عنـد الله ﷻ.

* * *

الموضوع

تقـديـــم.	٥
تقدير المصلحة وتنظيم المباح.	٩
الأمن الغذائي حمايته وحرمة التلاعب به.	١٣
مخاطر استباحة المال العام والحق العام.	٢١
مخاطر الطلاق.	٢٧
مخاطر الهجرة غير الشرعية.	٣٣
مفهومُ التنميةِ الشاملةِ.	٣٧
الزكاة والصدقات ودورهما في التنمية المجتمعية	٤٣
فروض الكفايات ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي.	٤٩
الوقاية خير من العلاج.	٥٧

حق الوطن والمشاركة في بنائه.	٦٣
مكارم الأخلاق وأثرها في بناء الحضارات.	٧١
التفوق العلمي وأثره في تقدم الأمم.	٧٩
الصلابة في مواجهة الجوائح والأزمات.	٨٥
الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرامُ بَيِّنٌ.	٨٩
حقوق الجار.	٩٥
جبر الخاطر وأثره في الفرد والمجتمع.	١٠٥
قيمة الاحترام.	١١١
المواساة في القرآن الكريم.	١١٧
الأسرة سكن ومودة.	١٢٣
تنظيم النسل ومتغيرات العصر.	١٢٩
النظافة سلوك حضاري وإنساني.	١٣٥

التكافل المجتمعي (حقوق الوالدين والمسنين والضعفاء أنموذجًا). ١٤١
العمل واجب. ١٤٧
التاجر الأمين. ١٥٣
الصانع المتقن. ١٥٩
الزارع المجد. ١٦٥
أهمية الاستثمار في حياتنا ١٧١

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

متابعة

فريال فؤاد

المراجعة اللغوية

د.حسن أحمد خليل

سيد عبد المنعم

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٧٤٦/ ٢٠٢٢

ISBN 978-977-91-3854-1